

مجلة الأزهر

٩١

المجلد الحادى والعشرون

مدير المجلة

ورئيس تحريرها



مركز بحوث الأزهر

٤٠ مصر والسودان
٥٠ لخارج القطر المصرى

الاشتراك السنوى

نمن المدد ٤٠ مليا

ادارة المجلة : بديوان الإدارة العامة للأزهر والمعاهد الدينية بالقاهرة

مطبعة الأزهر

١٩٤٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فاتحة السنة الحادية والعشرين

لمجلة الأزهر

نحمدك اللهم على ما أسديت إلينا من سداد فيما نحن بسبيله من خدمة دينك الحق ، الذي شرعته هداية للخلق ، ونصلي ونسلم على رسولك محمد خاتم النبيين ، المبعوث الى الناس أجمعين ، وعلى آله وصحبه ومتبعيه الى يوم الدين .

أما بعد : فإننا بهذا العدد من مجلة الأزهر نفتتح السنة الحادية والعشرين لوجودها عاملة على خدمة الإسلام ، ماضية في سبيلها قد ما لا تنى ولا تفر ، رافعة علمه عاليا في الخافقين ، ملاقية من المسلمين في جميع بقاع الأرض تأهيلا وترحيبا . فمن كان من أهل تلك البقاع يفهم العربية ويقرؤها فقد حظى منها بأمنية كان يتشهاها من قبل ولا يجدها ، فلما تحققت أقبل عليها إقبال الهيم على المورد العذب . ومن كان منهم لا يفهم العربية ولا يقرؤها ، يترقب ما يترجمه بعض كتابهم منها وينشرونه في مجلاتهم . فكانت هذه المجلة من أسباب إيقاط القلوب في العالم الإسلامي كله .

ويرى القراء مما تنوخاه هذه المجلة من الإكثار من نشر مقالات لبغاء الأزهريين ، أن الأزهر أصبح لا يقل عن أية جامعة أخرى في تنشئته كبار المفكرين الذين يستطيعون أن يؤدوا واجبه الديني على أتم ما يجب أن يكون عليه من بلاغة وتدليل .

وقد زدنا في عنايتنا باللغة العربية التي خصص لها الأزهر كلية خاصة حفظاً لها من الضعف الذي كانت مئيت به ، فعيننا بنشر مواضيع شتى لكثير من نبغائها ، ويرى القراء أنهم قد تفوقوا في هذا المجال على سواهم ، وفي حفظ مكانة اللغة العربية حفظ للدين .

ولإني في هذا المنام أرى من واجبي أن أنوه بما لجلالة الملك فاروق الأول من الفضل في هذه النهضة الأزهرية : فقد حاطها بجلالته بعنايته ، وتعهدها برعايته ، ورفع من شأنها بتوجيهاته ، فكانت ثمرة هذه العناية الملكية ما هي فيه اليوم من تقدم وارتقاء . ولنا لئرجو أن يبلغ الأزهر الشأو الذي يريده له بفضل الله وكرمه .

وإنا لا ننسى أن ننوه بما لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مأمون الشناوي شيخ الجامع الأزهر من العناية بإبلاغ الأزهر إلى الغاية المرجوة له ، بما أوتي من الكياسة النادرة ، والرعاية القويمة .

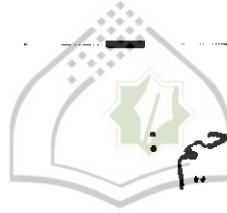
ولا يجوز أن تغفل هنا التنويه بذكر حضرات أصحاب الفضيلة العلماء الأعلام الذين يساهمون في تحرير مجلة الأزهر ، فإنهم يبذلون أحسن ما عندهم من المواهب العقلية والعلمية للإشادة بذكر الإسلام وبيان فضائله وبيئاته ؛ ويسرنا أن نخبرهم أن ما يكتبونه يقدر قدره في البلاد الإسلامية كافة ، وينقل بعضه إلى لغات أهلها وينتفع به ، وينشر بين ظهرانهم محوطة بالتقدير العظيم والعناية التامة .

فالله نسأل أن يسدد خطواتنا ، وأن يهبنا من فضله قوة على القيام بحققها ، فإنها وأيم الحق مهمة يجب أن يبذل فيها كل جهد ، وأن توقف عليها كل قوة منا ومن الذين يعملون معنا ، والله يهدينا إلى سواء السبيل .

محمد فريد وجدي

احتفال الازهر بالعام الهجرى

احتفل الازهر فى يوم الاحد الثالث والعشرين من شهر أكتوبر الجارى بأول العام الهجرى لسنة ١٣٦٩ ، فاحتشد ألوف من المحتفلين يتقدمهم سعادة المحافظ ، وكان يستقبلهم صاحباً الفضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل الازهر ، والشيخ محمود أبو العيون السكرتير العام . فألقى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مأمون الشناوى كلمة جامعة ، تجلت فى ثوب من البيان الرفيع ، فذكر الهجرة النبوية وما دعا إليها وما آلت إليه . فوقعت من الحاضرين أجمل موقع ، وهتفوا بحياة جلالة الملك المحبوب ، ثم انصرفوا شاكرين . وهذا نصها :



بسم الله الرحمن الرحيم :

الحمد لله الذى هدانا الى صراطه المستقيم ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، الذى بَلَغَ رسالات ربه فصكان رحمة للعالمين .

أما بعد : فيستقبل المسلمون اليوم فى جميع بقاع الأرض عامهم الهجرى الجديد فرحين مستبشرين ؛ لأنهم إذ يحتفلون به إنما يحتفلون بذكرى مجيدة عزيزة على المؤمنين ؛ ذكرى الهجرة النبوية المباركة التى جعلها الله فاتحة خير للإنسانية . فقد خرجت بالإنسانية من ظلمات الجهل الى نور الهداية ، وقضت على الشرك وأهله ، فعمّت المعرفة ، وعزّ الحق ، وتحررت النفوس من ذل العبودية .

وهم إذ يذكرون الهجرة المباركة يذكرون حادثاً من أهم الحوادث خطراً فى مغزاه وفى أثره ؛ حادثاً تجلت فيه البطولة الخالدة للنبي الأمين ، وتجلت صفات الإيثار والصبر والإيمان ، فغلب شعباً بأكماله على أمره ، وردّه عن زيف معتقداته الى الحق واليقين .

ظلت الجزيرة العربية تسودها الأوهام والضلالات ، وتتخبط فى دياجير الشرك والجهالة ، الى أن أراد الله بها خيراً ، فبعث فيها سيدنا محمداً صلى الله عليه

وسلم بدين الهدى ودين الحق ، يدعو الناس الى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، فأنقذها من ضلالها ، وأقالها من عثارها ، وهداها سواء السبيل . ولكن على ما جلبه لها من خير ، لم يلق من قومه وعشيرته إلا جحودا ونكرانا ، فجاهدوا على غيهم ، وكافهم في سبيل تحقيق دعوته ، واحتمل أذاهم بصبر جميل .

ولقد بدأ عليه الصلاة والسلام يدعو من الناس من يتوسم فيه الخير سراً ، حتى إذا أمر بالجهر جهر بدعوته ؛ وقد استجاب لها نفر قليل من أنار الله بصائرهم وشرح صدورهم للإيمان ، فآمنوا بما أنزل إليه ، ووقفوا الى جانبه يشدون أزره . أما سواد الناس من قريش فقد عميت بصائرهم ، وران على قلوبهم غيهم ، فاشتدوا في الحملة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكادوا له ، وأسرفوا في إيذائه ، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يُتم نوره ولو كره الكافرون . .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقابل كيد الكائدين ، واعتداء المعتدين وظلم الباغين ، بإيمان قوى مكين ، فلم يردده أذاهم إلا استمساكا بدعوته ، ومناخفة عن عقيدته ، حتى إذا عدل المشركون عن الشدة الى الملاينة ، وعن العداوة الى المصانعة ، وبذلوا له الوعود ، ومنوه بالألوال والجاه والملك والشرف ، أجاهم صلوات الله وسلامه عليه بقوله المأثور والله ياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه ، ! فزاد ذلك الموقف الكريم المشركين عنادا ، وغيا على غيهم ، وضلالا على ضلالهم ، ونالوا المسلمين بأذاهم ، غير متورعين ولا متعفين .

فلما اشتد بالمسلمين الكرب ، وعظمت عليهم البلية ، أمرهم بالهجرة من إيذاء قريش وغيرها . ولكن قريشا أبى عليها شيطانها إلا أن تزداد أذى محمد ، حتى بلغ بهم الكيد أن ائتمروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه ، فيطفئوا نورا أراد الله له الإشراق ، ويقضوا على دعوة قضى الله لها القيام والانتشار .

دبروا وأحكموا التدبير ، وانتهى رأيهم على أن يقتلوه — صلى الله عليه وسلم — واتفقوا على أن يقوم بالقتل جماعة من فتيانهم الأشداء من جميع القبائل ، فينقضوا عليه فيضربوه ضربة رجل واحد ، فيفرق دمه في القبائل ،

ولا يقدر بنو عبد المطلب على الثأر له ، فأطلعه الله تعالى على ما بيّتوا له ، وأمره بالهجرة في الليلة التي حددها المشركون لقتله ؛ فدير الرسول صلى الله عليه وسلم أمر خروجه ، وبصحبته أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وأعاناه الله على من اتهموا به ، فغشّى على أبصارهم فلم يروه . واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه طريقه الذي رسم حتى بلغا غار ثور ، فأقاما فيه أياما ، جددت قريش في طلبه والبحث عنه ، وبذلت غاية جهدها للتحاق به ؛ ولكن الله أبى إلا أن يتم نوره ، إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الدين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا ، والله عزيز حكيم .

ثم اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيله الى المدينة تحفّه عناية الرحمن ، حتى إذا وصل اليها استقبله أهلها مؤمنين بدعوته ، ناصرين لدين الله . وبهذا تمت هجرة الرسول الى المدينة ، ودخلت الدعوة الإسلامية في دور جديد ، أساسه المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، فربط الله بين قلوبهم ، وتضامت صفوفهم في عزة ومنعة ، عزت على قوة قريش وصولتها ، وعم نور الله الآفاق ، وفاض على الجزيرة العربية حتى ملأ البقاع ، ودكت معالم الشرك ، وانمحت الوثنية ، وأصبحت كلمة الله هي العليا . وهكذا تمت الهجرة المحمدية التي حفظ الله بها دينه ، وانتشر على أعقابها نور الإسلام .

وهذا هو المثل الرفيع الذي ضربه النبي الكريم في التضحية والإيثار ، والمثابرة والاحتمال ، والصبر على الأذى .

وإني إذ أهنئ المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بهذه الذكرى المباركة ، أرجو مخلصاً أن يتخذ إخواني وأبنائي المسلمون منها عظة تدفعنا ، وتقوى إيماننا ، وتربط بين قلوبنا ، وتوحد صفوفنا ، حتى نستطيع أن نستعيد مجدنا ، ونحي آثار أسلافنا ، ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز .

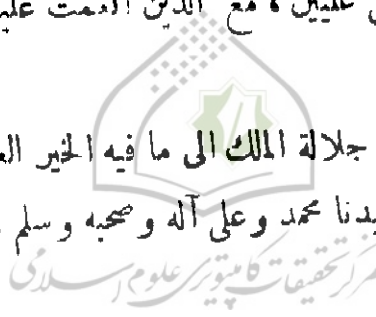
وتوجه الى الله تعالى بقلوبنا ، وبصدق نياتنا ، أن يجعل عامنا الجديد ، سعيد الطالع ، مبارك النقية ، منهيّاً للعالم فيه رخاء عميم ، وسلام مقيم ،

وأن يتفياً فيه المسلمون وحدة تجمع بين قلوبهم ، وتقوى تُعزى روابطهم ،
فيستعيدوا في حاضرهم مجد الغابر ، وعزهم النالد .

ونضرع اليه سبحانه أن يكلاً وادينا بعين رعايته ، وأن يوفق أبنائه ويؤلف
بين قلوبهم الى ما فيه صالح البلاد ومجد الوطن ، في ظل حضرة صاحب الجلالة
مولانا الملك المعظم ، فاروق الاول ، أعز الله ملكه ، وأيده بروح من عنده .
اللهم اشرح صدره ، ويسر أمره ، وأخيه حياة طيبة مباركة تتم بنفعها العباد
والبلاد .

ونسألك اللهم يا واسع الفضل والإحسان ، أن تتغمد برحمتك ورضوانك
الراحل الكريم ، مولاي الملك العظيم ، المغفور له ، الملك فؤاداً الاول ، .
اللهم اجعله في أعلى عليين ، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين .

اللهم وفق حكومة جلالة الملك الى ما فيه الخير العميم ، إنك نعم المولى ونعم
النصير . رضى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



الناموس الادبي العام

يرى المتأمل في الوجود أن الشؤون العالمية تجري كلها متبعة سلفاً ثابتة لا يعثرها أقل انحراف . فالشموس في السماء تحيط بها الكواكب تحترق مواكبها الفضاء بسرعة لا يدركها العقل ؛ وفيها من الكائنات ما لا يدخل تحت حصر ؛ وجميعها محكوم بنواميس طبيعية لا تتخلف عن عملها بأى مؤثر من المؤثرات . ويرى الرأى رأى العين أنها من النظام والإحكام والاستمرار بحيث يقف العقل حياها دهشاً ، ولا يرى بدا من الاعتراف بأنها من وضع بارئ الكون الذى وسع كل شيء علماً .

هذه النواميس قد أحس بوجودها الإنسان من أول عهده بالنظر والتفكير ، واعتبر ما تحدثه أعمالاً صادرة من خالق الوجود ، وهى كذلك عند المحققين ، ولكن الطائفة التى حاولت أن تنكر وجوده جل وعز ، من قدماء الفلاسفة ومحدثهم ، اعتبروها نواميس طبيعية ، وجدت مع الكون من أزل الآزال ، وهو وهم خطير استنكره كبار المتأملين .

لسنا هنا بصدد البحث فى حقيقة النواميس ، ولا فى إثبات وجودها ، فهى ماثلة أمام أعيننا تدبر الوجود ، وتهيمن عليه ، وتحفظه من الخطط والتخاذه ؛ وإنما نحن بصدد إثبات وجود ناموس أدبى عام ، الى جانب النواميس المادية ، يقود الأعمال الإنسانية وربها ويرقيها ، ويدأب على توجيهها الى المثل الأعلى من الوجود الإنسانى .

وجد الإنسان على هذه الأرض عارياً وبغير سلاح ، فكان همه الأول أن يقي نفسه من غوائل الوحوش الضارية ، والنقابات الجوية المهلكة ، وأن يحصل ما يقيم أوده من ثمرات الأرض . هذه الأمور كانت شغله الشاغل أمداً حتى هداه عقله الى بناء الأكواخ ، وعمل بعض ضروب السلاح من الأحجار . كل هذا كان تحت هداية مواهبه الذاتية ، وتديره المحدود ، وعلى طريقة التدرج

خلافا للحيوانات ، فقد خلقت في أجسادها القسوى والأسلحة التي تكفيها مؤنة الإنشاء والتدبير .

لسنا بسبيل الكلام في هذا الموضوع ، ولكن بصدد الرقي الأدبي الذي حصله الإنسان في مدى بضعة ألوف من السنين التي عاشها على الأرض . فقد وجد على الأرض وليس لديه أثر من أدب أو مجاملة أو حياء أو سياسة أو نزوع الى تكمل في الأخلاق والتقاليد الخ ، مما شغل العقل الإنساني واستوعب تفكيره آماداً طويلة ، حتى أصبح بعد أن كان على نحو ما عليه الى الآن متوحشوا استراليا وأفريقيا من القسوى المطلق والحيوانية الباحثة ، والبهيمية الصرفة ، متجملا بأدب راق ، وتقاليد سامية ، ومعاملة مبنية على التعاطف الأخوى ، وترفع عن إتيان المنكرات علانية ، وتعال عن ركوب الخنا جهره . وقد وصل كثير من آحاده الى درجة الإيثار ، فيجوعون أنفسهم ليشبعوا الجائع المحتاج ، ويعرضون أنفسهم للخطر ليدفعوا الأذى عن ضعيف لا جبرية له ، بل ويلقون بأنفسهم للهلاك صيانة لعرضهم أن يذنس .

هنا نتساءل : ما الذي أدى بالإنسان الى هذه الدرجة من التصون والعفاف والورع ، إن لم يكن يوجد ناموس طبيعي يدعى بالناموس الأدبي ، حاصل على جميع ميزات النواميس الطبيعية وتبعاتها ؟

بما يدلك على أنه ناموس طبيعي ، تأثيره العام على جميع النوع البشرى في جميع قارات العالم . فالصفات الادبية من الحلم والوداعة والكرم والإيثار والجدّة والقناعة والترفع والحياء والتصون وحسن المعاملة والاستقامة الخ ، كلها صفات معتبرة في جميع كتب الأخلاق عند جميع الأمم ، شرقيها وغربيها شماليها وجنوبيها أبيضها وأسودها ، وليس بعد هذا دليل على أن هذه الآداب البشرية صادرة عن ناموس طبيعي عام ، مثله كمثله جميع النواميس الطبيعية .

وإذا كان الأمر كما ذكرنا فإن على مخالفة مقتضيات هذا الناموس الطبيعي العام ، نتائج سيئة تقع على الهيئات التي تنحرف عنها .

إذا تقرر هذا كله فإن ما نراه من حيد الناس عن الآداب الموروثة ، وميلهم

الى التحلل منها ، يفضى الى حدوث فتن اجتماعية تفتاب الجماعات على صور شتى ،
وفي نواح متعددة من مقومات حياتها .

وإذا كان هذا كله حقاً لا مرية فيه ، فلا يجوز لامة من الامم أن تترك هذه
الناحية الخطيرة من وجودها الاجتماعى لذوى الميول الحيوانية ، والنزغات
الشهوانية ، فيسئروا للناس فى ألبستهم واجتماعاتهم وعاداتهم وعلاقاتهم ببعضهم ببعض ،
سننا تملها عليهم الإباحة المطلقة ؛ فان هذه الإباحة المطلقة لا تستند إلا على أصل
واحد ، وهو إشباع الشهوات البهيمية الى أقصى حد ، وفى أسلوب تمويهى مفضوح ،
أو ذهاباً مع مبادئ الحادية وقعوا فى فخها ولم يفتنوا لمغبتها .

على أن المسألة ليست مسألة إيمان أو كفر ، فهى مسألة اجتماعية باحة .
فإن الامم التى تريد أن تبقى وأن تزدد قوة وفتوة ، وأن تبلغ أقصى غايات المدنية ،
يجب أن تتجنب ما يعدو على كيانها ، وما يؤثر على سرعة تقدمها ، وخاصة إذا
كانت متخلفة عن غيرها فى ميدان الحضارة والعلم .

فإذا ظلت تتخيل أن الناموس الأدبى استعارة بيانية ، لا حقيقة عالمية ، وأن
ليس وراء مخالفته من تبعه مادية ، وألقت بنفسها فى تيار التقليد لمن سبقها
فى الوجود ، واعتبرت ما هى عليه من الأمور المنافية لهذا الناموس من لوازم
المدنية ، فان هذه بتسكعها فى أهوائها ، وتماديها فى باطلها ، إن حصلت على شئ
فلن يكون إلا مظهراً خداعاً من الملبس والمأكل والعادات التى تقتبسها من الامم
التي تحتك بها ؛ أما فى الواقع فإنها بهذا التقليد الأعمى إنما تعمل لهلاكها ، وتهافت
على مبادئها .

إنى أرى أول ما يجب على المصلحين فى مثل هذا الدور الذى تكون فيه
الجماعات ، أن يعملوا على تجنيبها فى دور نهوضها ، ناحية اللهو والترف والإباحة
الشائعة فى الامم المتمدنة . وذلك بالتدليل لها على أن هذه الامم لما بدأت ترتقى لم
تكن على ما هى عليه اليوم من هذه الموبقات الاجتماعية ، وإلا لما وصلت الى
هذه الدرجة من المدنية والعلم ، ولهلكت قبل أن تصل الى شئ منها .

وإنها الحقيقة يمكن التدليل عليها : فإن الدولة الرومانية كانت إبان نهوضها على أخلاق وفضائل ووطنية لم تكن لها حين اعتراها الهرم ، واعتراها الضعف ، فانتشرت فيها الرذائل ، وفشت الفحشاء ، وسادت حكمها الرشوة ، واعوجاج السيرة ، وانحطاط النفس ، فأضاعت هذه السفالات دولتهم ، وجعلتهم أحاديث لمن بعدهم .

وبعد هذا الاستطراد أقول : إن مارميت إليه بمقال هذا ، ولعل أول قائل به ، من الناحية العلمية ، هو : وجود ناموس على مثال جميع النواميس ، يدعى بالناموس الأدبي ، ينظم العلاقات بين بني الإنسان على قواعد العقل والحكمة والأدب العالي ، وإن الدليل على وجوده نشوء آثاره في جميع الشعوب والجماعات البشرية بعد أن لم تكن ، وأن السعى لقلب أوضاعه في الجماعات يقابل بعقاب يعم الجماعة التي تقر هذا القلب وتعمل به ، وهذا العقاب مشاهد محسوس بمن يدرس المآسي البيتية ، والخسائر المالية ، والمفاسد الاجتماعية ، التي تنخر عظام كل هيئة اجتماعية في جميع العصور الإنسانية ، وهي في هذا العصر أشد منها في جميع العصور السابقة ، وقد وصلت إلى درجة احتمال تلاشي النوع الانساني كله بتأثير القلاقل الموجودة في جماعاته ، والأضغان المتأججة بين حكوماته . فالذين يدفعون منا الرجال الإباحة الحيوانية ، والنساء للتجرد من الحفر والتعدي على الآداب النسوية ، ويربون أطفالهم على عدم احترام أبويهم الخ الخ ، سيلاقون وبال أمرهم في نشوء أجيال لا تقف من الطغيان عند حد ، وتجد من العقوبات الطبيعية على تعدي حدود الناموس الأدبي ، مثل ما تجده من التعدي على أي ناموس طبيعي . والفعال في هذا كله مدبر الوجود الأعظم ، فإنه سبحانه أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

محمد فريد وهدي

حكم الشريعة

في استبدال النقد بالهدى

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت
عضو جماعة كبار العلماء

قال الله تعالى : وَأَتُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ، فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا ، أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ، فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ^(١) .

وقال تعالى : وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَنَّمَا اللَّهُ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ، فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ، ^(٢) .

وقال تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ، وَمَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ مَتَعِدًا جِزَاءً مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ، يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ، هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ ، أَوْ كَفَّارَةٌ طَمَامٌ مَسَاكِينَ ، أَوْ هَدًى ذَلِكَ صِيَامًا ، ^(٣) .

وقال تعالى : «وَالْبُذُنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ، لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ، فَادْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ ، فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُّوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَائِعَ وَالْمُعْتَرَّ ، كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ، » (١) .

وقال تعالى : « ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ . لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ؛ » (٢) .

وقال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ ، وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ ، وَلَا الْهُدًى ، وَلَا الْقَلَائِدَ ، وَلَا أَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، » (٣) .

بهذه الآيات الكريمة ، وبما صح من أحاديث الأئمة ، تقرر في الإسلام أن إراقة الدم نوع من أنواع القربى إلى الله ، وأن هذه القربة لا تقوم إلا بذبح الحيوان وإراقة دمه ، وأن التصديق بشمته لا يغنى ولا يقع عند الله موقع القبول في القيام بهذا المطلوب .

وقد تضمنت الآيات الكريمة النص على الهدى تارة على سبيل التعيين دون أن يكون له بدل ، وتارة على سبيل التعيين مع الالتجاء إلى البدل عند العجز عن الهدى ، وثالثة على سبيل التخيير بينه وبين غيره .

كما تضمنت أن مكان الذبح فيما وجب ذبحه هو الحرم : « حتى يبلغ الهدى محله ، ، ثم محلها إلى البيت العتيق ، ، » هدياً بالغ الكعبة ، ، وكذلك تضمنت اعتبار البدن والذباح في هذه الأماكن من شعائر الله التي تحجب المحافظة عليها ، ولا يصح التهاون فيها أو إغفالها . وحسبنا « لا تحلوا شعائر الله ، . والشعائر هي العلامات الواضحة الظاهرة التي اعتبرها الدين مظهراً من المظاهر العامة ، وهذا لا يتحقق إلا بعمل ظاهر يراه الناس في مناسبات خاصة . وإذا أردت زيادة في الإيضاح

فانظر الى موقف الشريعة من الأذان : إذ اعتبرته شعيرة من شعائر الدين ، يقاتل أهل القرية أو المدينة على تركها وإن لم تكن من الفرائض .

ألا وإن للشعائر في نظر الإسلام مكانة الفروض المقدسة . وعلى هذا انفقت كلمة الفقهاء في ذبائح الحج ، ولم نر لواحد منهم خلافاً في ذلك ، نزولاً على حكم هذه الآيات الصريحة الواضحة ، وتحقيقاً للغرض المقصود ، وهو التقرب الى الله بإيافة الدم ؛ والله سبحانه وتعالى أن يتعبد عباده بما يشاء : بما يدركون حكمته ، وبما لا يدركون . وما كان اختلاف الفرائض في عدد الركعات والكيفيات ، وتحديد الأوقات ، واختلاف مقادير الزكاة ، والكفارات ، وسائر ما دخله العد ، أو اعتبرت فيه الكيفية - إلا نوعاً من هذا التعبد الذي يتجلى فيه بوضوح مقتضى العبودية الحقة ، وهو الامتثال لأمر الرب الحكيم ، عقل معناه أو لم يعقل .

والعلماء يذكرون في هذا المقام أن هذه القرية تذكر بجادث الفداء الذي حصل لإبراهيم الخليل وولده عليهما السلام ، وتنبه النفوس المؤمنة إلى مبدأ التضحية في سبيل الله وطاعته بأعز شيء لديها : « وفديناه بذبح عظيم » .

على أن في العمل بهذه القرية سرّاً اقتصادياً يرجع إلى سكان البادية ، ولعله من مصداق دعوة أبيهم إبراهيم حين قال : « ربنا إني أسكنت من ذرتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » . ذلك أن الماشية رأس مال أهل البادية ، وموسم الحج هو السوق التي تنفق فيه هذه السلعة ، عن رغبة لا مشقة فيها ، وبذا يحصلون على أرزاقهم من أعمالهم ، ومن ثمن أموالهم ، دون أن يتعرضوا لذل السؤال ، أو يترقبوا المن والعطاء .

من هذا يتضح جلياً أنه لا يجوز للمسلمين أن يفكروا في استبدال النقود بالهدى أو الاضاحي التي طلبها الشارع بذاتها ، إقامة للتصدق بشئها مقامها ؛ إذ ليس القصد هو التصديق ، وإنما القصد - كما قلنا - التقرب بها نفسها . وإننا لو أبحنا لأنفسنا هذا النحو من التفكير - بناء على ما نظن من حكم التشريع - لأنفتح علينا باب التفكير في التخلي عن الأعداد والكيفيات التي طلبت في كثير من العبادات ، ولأمكن لقائل أن

يقول : إن الغرض من الصلاة هو الخضوع ومراقبة الله ، وهما معنيان يحصلان بالقلب ، وبأى مظهر من مظاهر الخضوع والمراقبة ! فليست هناك حاجة إلى ركوع أو سجود أو غيرهما من كفايات الصلاة الخاصة ؛ وبذلك يفتح باب الشر على مصراعيه ، ولا يقف ضرره عند حد الاضاحى وفدية الحج .

أما ما يبررون به مثل هذا التفكير من أن لحوم الذبائح تتكدر في منى ، وترك التعفن المفسد للجو ، أو للنار المذهبة للأموال : فهذه الحالة - إن صحت - ليست ناشئة عن أصل التشريع الذى هو خير كله ، وإنما نشأت عن عدم التنظيم ، وعدم الإلمام بأحكام الشرع ؛ فإن الشرع لم يطلب من كل حاج أن يذبح ، ولم يوجب أن يكون الذبح - فيما يطلب فيه الذبح - فى خصوص منى ولا بجزرتها ، ولا فى اليوم الأول من أيام النحر ، فأيام النحر كلها زمن للذبح ، والحرم كله مكان للذبح ، والذبح لم يطلب عينا إلا فى حالات مخصوصة ، وما عداها فالحاج مخير بينه وبين غيره : من صدقة أو صيام .

فلو عرف الحاج أحكام الله على هذا الوجه فيما يختص بالدماء ، فتصدق من لم يطلب منه الذبح ، وذبح من طلب منه الذبح ، وفرقوا الذبح على الأماكن والأيام ، ثم تخيروا الذبيحة من غير العجاف والمرضى ، وهيثوها بالسبخ والتقطيع - لما كان لهذه الشكوى موضع ؛ ولكن جرت سنتنا فى التفكير أن نعد الوضع الذى جرت إليه العادات - وإن كانت فاسدة - صورة للتشريع ، فنحكم عليه بالقبح ، ثم نحاول التخلي عنه بالنضاء على أصله ، وبذلك ندخل فى باب من التغيير والتبديل فى أحكام الله ، ولا نلبث بعد ذلك أن نترك الشريعة كلها جانبا ، باستحساننا الفاسد المبني على واقع جرد إلى الجهل وعدم التنظيم .

وبعد : فإن الكلام فى هذا الموضوع ليس وليد اليوم ، بل سبق أن تحدث فيه المرحوم الهلباوى بك مع فضيلة المغفور له أستاذنا الأكبر الشيخ المراغى ، فأحال على فضيلته بحثه من الوجهة الفقهية الشرعية ، فعدت إلى فضيلته بعد البحث الطويل بأن الفقهاء جميعا يعتبرون التعبد فى هذه المسألة بإراقة الدماء ، دون أن أرى فى كلام واحد منهم ما يشير - ولو من بعيد - إلى جواز استبدال النقود بها ؛ فاطمأن فضيلته إلى هذا وأقره ، وقد عرضت على فضيلته اقتراحا هو :

أنه على فرض تكديس اللحوم — كما يقولون ، بعد مراعاة الأحكام الشرعية في زمان الذبح ومكانه ، وطلبه وعدم طلبه — يجب على المسلمين — وفيهم والحمد لله موسرون كثير — أن يعملوا على استخدام إحدى الوسائل الحديثة لحفظ هذه اللحوم وادخارها طيبة ، ثم توزيعها على الفقراء المحتاجين في جميع الأقطار الإسلامية إن ضاق عنها القطر الحجازي ، أو يبيعها بأثمان تصرف فيما ينفع الفقراء والمساكين ، أو في سبيل الله العامة . وإني أعتقد أن هذا المشروع متى كفله العاملان العظيمان المؤمنان : عاهل مصر ، وعاهل الحجاز ، رأينا آثاره ، وانتفع الناس بشمراته ، في الموسم المقبل ، إن شاء الله .

هذا ما يجب أن ينزل عليه المسلمون في فهم أحكام دينهم ، وفي تنظيم العمل بها ، والمحافظة عليها ، والسلام على من اتبع الهدى .

(مجلة الأزهر) الدين اعتقادات وتكاليف . فناحية الاعتقادات يشترط فيها عندنا تحكيم العقل ، فهو الرادع القوي للخيالات أن تسيطر على المعتقدات ، وما سمح لزعماء الأديان السابقة على الإسلام أن يدخلوا فيها ما شاءت لهم الأهواء إلا لغفالهم تحكيم العقل ، بل زعم هؤلاء الرؤساء أن الدين لا يصح أن يخضع لحكم العقل . وما علموا أن هذا يفتح لهم باب الخيالات على مصراعيه فيحملهم رؤسائهم ما يروق لهم أن يحملوه من الخرافات ليقنادوهم لطاعتهم كما يقنادون العجماوات . ولكن التكاليف لا يمكن أن يشترط فيها هذا الشرط ؛ لأن من المتدينين جهالا وأنصاف متعلمين لا يتجاوز تعقلهم ما ألفوه في محاولاتهم المحدودة ؛ بل المتعلمون لم يصلوا من العلم إلى نهايته ليدركوا حكم جميع التكاليف الدينية ، فما سنته الشريعة الإسلامية من هذه التكاليف يجب قبولها بدون مناقشة فيها ؛ ألا ترى أن الطفل لا يعقل حتى فائدة الدواء فيهرب من تعاطيه ؛ بل ربما استنكر بعض القيود الصحية وعدّها من أبويه تحكما ، فلما يكبر يدرك أن أبويه كانا على حق فيما ألزماه به منها .

وقد رأينا أن نذيل هذه المقالة القيمة لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت تأييداً لقوله : والله سبحانه وتعالى أن يتعبد عباده بما يشاء ، بما يدركون حكمته وبما لا يدركون . .

من ذخائر السنة

أهداف الهجرة

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ فكري ياسين

أخرج الشيخان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يُصيّبها ، أو امرأة ينكحها ، فهجرته الى ما هاجر إليه . »

مرکز تحقیقات کلامی و فقهی مکه مدنی

تواتر النقل عن الأئمة في فضل هذا الحديث ، وتعظيم قدره ، وكثرة فوائده ، وقد صدر به الإمام البخاري كتابه الصحيح اتباعاً لما كان يستحبّه السلف الصالح من تقديمه أمام كل شيء يبتدأ من أمور الدين ، لعموم الحاجة اليه ، وللتفنيه على مزيد الاعتناء بحسن النية ، والاهتمام بالإخلاص في الأعمال ، وللإشارة الى أن كل عمل لا يُراد به وجه الله ، لا ثمرة له في الدنيا ولا في الآخرة .

واتفق كثير من الأئمة على أنه أحد الأحاديث التي يدور الدين عليها ، وأنه أصل عظيم من أصول الإسلام .

وقال عنه الحافظ ابن مهدي : لو صُنِّفَتْ كتابا في الأبواب ، لجعلت حديث عمر بن الخطاب في الأعمال بالنيات رأس كل باب ، وينبغي لمن أراد أن يصنف كتابا أن يبدأ بهذا الحديث .

أهداف الهجرة

١٩

وقد قيل في سببه ومورده : إنه لما أمر بالهجرة من مكة الى المدينة ، تخلف جماعة عنها ، فذمهم الله بقوله : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا : كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم ، وساءت مصيرا ، ولم يهاجر جماعة آخرون لفقد استطاعتهم ، فعذرهم الله ، واستثناهم بقوله : « إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ، وكان الله عفوا غفورا ، ، وهاجرت جماعة ثالثة ، فدحها الله في غير موضع من كتابه . واشتهر أنه كان بين المهاجرين رجل أراد أن يتزوج امرأة يقال لها : أم قيس ، فأبى أن يتزوجها حتى يهاجر ، فهاجر لاجلها ، وتزوج بها ، وكانوا يسمونه مهاجر أم قيس ، فعرض به ، تنفيرا عن مثل قصده .

وهذا السبب ، وإن كان خاص المورد ، لكن العبرة بعموم اللفظ . وذكر الدنيا مع المرأة من باب زيادة النص على السبب .

مرکز تحقیقات کامیوتر علوم اسلامی

صدر الحديث بكلمتين جامعيتين ، وقاعدتين شاملتين ، هما : إنما الأعمال بالنيات ، و : إنما لكل امرئ ما نوى ، ويُراد من الجملة الأولى الإخبار عن الأعمال الاختيارية بأنها لا تقع من العامل إلا عن قصده وسبب عملها ووجودها ، وبأن صلاح العمل وفساده إنما هو بحسب النية المقتضية لإيجاده ؛ ويُراد من الجملة الثانية الإخبار عن المرء بأنه لا يحصل له من عمله إلا ما نواه به ، فإن نوى خيرا ، حصل له خير ، وإن نوى شرا ، حصل له شر ؛ وبأن ثواب العامل على عمله بحسب نيته الصالحة ، وعقابه عليه بحسب نيته الفاسدة .

وليس المراد في الجملة الأولى نفي ذات العمل ، لأن الذوات غير منفية ، إذ تقدير إنما الأعمال بالنيات : لا عمل إلا بالنية ، ولأن ذات العمل الخالي عن النية موجودة ، وإنما المراد نفي أسكاتها المتعلقة بوجودها كالصحة والكمال على اختلاف التقدير فيها ، فقد قال الأئمة الثلاثة بأن التقدير فيها : إنما صحة الأعمال

باليات ، وأدخلوا جميع الأعمال من الصلاة والصوم والزكاة والحج والوضوء ، وغير ذلك مما تطلب فيه النية ، عملاً بقضية العموم . وذهب أبو حنيفة وأصحابه الثلاثة ، والثوري ، والأوزاعي وغيرهم : إلى أن التقدير : إنما كمال الأعمال ، أو ثوابها ، أو نحو ذلك بانيات ، لأنه هو الذي يطرّد ؛ فإن كثيراً من الأعمال يوجد ويعتبر شرعاً بدونها .

وجعل بعضهم المقدّر في الجملة هو القبول ، فقال : إنما قبول الأعمال بانيات ، لكنه تردد في أن القبول هل ينفك عن الصحة أولاً ؟ فعلى أنه ينفك هو كاستقدير الكمال ، وعلى أنه لا ينفك هو كاستقدير الصحة .

وقال بعضهم : لا حاجة إلى إضمار محذوف من الصحة أو الكمال ، أو نحوهما ، إذ الإضمار خلاف الأصل ، وإنما المراد حقيقة العمل الشرعي ، فلا يحتاج حينئذ إلى إضمار .

وعلى هذه التقادير جميعها ، فإن الخلاف ليس في اشتراط النية في المقاصد ، وإنما الخلاف في اشتراطها في الوسائل ، ومن ثم لم يشترطها الحنفية في الوضوء مثلاً ، لأنه مقصود لغيره لا لذاته ، فكيفما حصل ، حصل المقصود ، وصار كستر العورة ، وباقي شروط الصلاة التي لا تفتقر إلى النية .

وليس هناك تكرار بين الجملتين : فإن الحكم قد ذكر بالأولى ، وأكّد بالثانية ، تنبيهاً على شرف الإخلاص ، وتحذيراً من الرياء المانع من الخلاص ؛ وإن الجملة الثانية دلت على أن الأعمال العادية التي لا تتوقف على النية ، قد تفيد الثواب إذا نوى بها فاعلمها القربة ، كما دلت على أن من نوى شيئاً يحصل له ثوابه ، وإن لم يعمل له مانع شرعي كريض تخلف عن الجماعة .

ولما كان في تينك الجملتين نوع إجمال ، ساق الحديث عقبهما مفرعاً عليهما تفصيل بعض ما تضمنته زيادة الإيضاح ، ونصاً على صورة السبب الباعث على هذا الحديث ، فذكر مثلاً من الأمثال والأعمال المتحدة في الصورة ، المختلفة صلاحاً وفساداً باختلاف المقاصد والأهداف ؛ وقد بين فيه أن من هاجر إلى دار الإسلام حبّاً لله ورسوله ، ورغبة في تعلم دين الإسلام وإظهاره حيث كان

يعجز عنه في دار الشرك، فهذا هو المهاجر حقا إلى الله ورسوله، وأن من كانت هجرته من دار الشرك إلى دار الإسلام، ليطلب دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها في دار الإسلام، فهجرته إلى ما هاجر إليه من ذلك؛ فالأول تاجر، والثاني خاطب، وليس واحد منهما بمهاجر.

والأهداف المنشودة من الهجرة كثيرة، وهي تنوع بتنوع الغرض منها، فالهدف في الهجرة إلى الله ورسوله هو اتباع أمرهما، وامتنال حكمهما، وابتغاء مرضاتهما، وهو كما ترى هدف واحد، يتناول سائر أقسام الهجرة: من هجرة إلى الحبشة والمدينة، وهجرة القبائل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، وهجرة مانهى الله عنه؛ ومن ثم اقتصر في جواب الشرط على إعادته بلفظه. أما الأهداف في الهجرة لأموال الدنيا، فكثيرة لا تنحصر ومتعددة لا تقف عند حد، ولا يجمعها غرض واحد؛ فقد يهاجر الإنسان من أجل تجارة، أو إمارة، أو زيجة، أو تراث، أو ثار، أو أى شأن آخر غير ذلك من شئون الدنيا ومطالب الحياة؛ ولهذا عبّر في الجواب بقوله: فهجرته إلى ما هاجر إليه، إشارة إلى تحقيق ما طلبه من أمور الدنيا، واستهانة به. كما أشار بالأول إلى تعظيم الهجرة والمهاجر إليه.

ولست كل هجرة لأموال الدنيا مذمومة مطلقا، فإن من نوى بهجرته مفارقة دار الكفر، وتزوج المرأة معا، لا تكون هجرته قبيحة، ولا غير صحيحة، بل هي ناقصة بالنسبة إلى من كانت هجرته خالصة، وإنما المذموم هو طلب المرأة في صورة الهجرة الخالصة، فأما من طلبها مضمومة إلى الهجرة، فإنه يثاب على قصد الهجرة، لكن دون ثواب من أخلص، وكذا من طلب الزوج فقط لا على صورة الهجرة إلى الله، لأنه من الأمور المباحة التي قد يثاب فاعلها إذا قصد بها القرية كالإعفاف.

إنما: هي اتقوية الحكم الذي في حيزها اتفاقا، وإفادة الحصر عند المحققين، وهو إثبات الحكم للذكور، وصرفه عما عداه؛ واختلفوا في إفادتها الحصر،

هل هو بالمنطوق، أو بالمفهوم، أو بالوضع، أو بالعرف، أو بالحقيقة، أو بالحجاز، ورجح بعضهم أنها بسيطة، ورجح آخرون أنها مركبة من إن التوكيدية، وما الكافة، وهي حرف زائد.

والاعمال : جمع عمل، وهو حركة البدن بأكمله أو بعضه، وربما أطلق على حركة النفس، وآثر ذكر الأعمال على ذكر الأفعال، لأن لفظ العمل أخص من لفظ الفعل، فالفعل ينسب إلى البهائم والجمادات، كما ينسب إلى ذوى العقول، بخلاف العمل، فإنه يعتبر فيه القصد؛ وأما الصنع فهو أخص من العمل، لأنه لا يقال إلا لما كان من الإنسان بقصد واختيار بعد فكير وتحرر.

والنيات : جمع نية، وهي لغة القصد، وشرعا : قصد الشيء مقترنا بفعله، فإن تراخى عنه كان عزما، أو يقال : قصد الفعل ابتغاء وجه الله، وامثالا لامره؛ وهي هنا محمولة على معناها اللغوي، ليطابق ما بعده من التقسيم. وجمعت باعتبار تنوعها، لأن المصدر إذا اختلفت أنواعه جمع كالعلوم، أو باعتبار مقاصد النوى كقصده تعالى، أو تحصيل موعوده، أو اتقاء وعيده.

والنية في كلام العلماء تقع بمعنىين : أحدهما : تمييز العبادة بعضها عن بعض، كتمييز صلاة الظهر من صلاة العصر، وتمييز صيام رمضان من صيام غيره، أو تمييز العبادات من العادات، كتمييز الغسل من الجنابة من غسل التبريد والتنظيف، وهذه النية هي التي ترد كثيرا في كتب الفقهاء؛ والمعنى الثاني تمييز المقصود بالعمل، وهل هو لله وحده، أو لله وغيره؟، وهذه النية هي التي يتكلم فيها العارفون، وتوجد كثيرا في كلام السلف.

والامرؤ : الرجل خاصة، وخصه بالذكر لشرفه وأصالته، وغلبة دوران الأحكام عليه؛ وقيل : يشترك فيه الرجل والمرأة، وفيه لغتان : امرئ، كزبرج، وتمرء، كفلس، ولا جمع له من لفظه، وعينه تابعة للامه في الحركات الثلاث، قال تعالى : « إن امرؤ هلك »، وقال : « ما كان أبوك امرأ سوء »، وقال : « لكل امرئ » : وفي مؤنثه أيضا لغات : امرأة، ومرأة، ومرة؛

وفي الحديث استعملت اللغة الأولى منهما من كلا النوعين ، حيث قال : لكل امرئ ، ، و : « إلى امرأة » .

والهجرة : الانتقال من محل إلى محل ، وأصلها هجران دار الشرك إلى دار الإسلام ، كما كان يفعل المهاجرون قبل فتح مكة ، حيث كانوا يهاجرون إلى الحبشة ، وإلى مدينة الرسول ؛ والمراد بها هنا مطلق الانتقال والتجاوز من شيء إلى شيء صورياً أو معنويًا . والهجرة إلى الله معناها في حقه تعالى ، إما على التشبيه البليغ ، أي كأنه هاجر إليه ، أو على حذف مضاف ، أي هاجر إلى محل رضاه وثوابه ورحمته ، أو يقال : إن الانتقال إلى الشيء عبارة عن الانتقال إلى محل يحده فيه ، ووجدان كل أحد على ما يليق به ، فالمراد الانتقال إلى محل قربه المعنوي وما يليق به .

والدنيا : هي ما على الأرض من الجو والهواء ، أو هي كل المخلوقات من الجواهر والأعراض الموجودة قبل الدار الآخرة ؛ وهي بضم الدال مقصورة غير منونة ، وقد تكسر وتنون ، وأنكر التنوين على القائل به ، وقيل : إنه لا يعرف في اللغة ، والصحيح جوازه ؛ قال في القاموس : والدنيا نقيض الآخرة ، وقد تنون ، وجمعها دُنَى .

وسميت بذلك ، لدنوها إلى الزوال ، أو اسبقها الآخرة ، أو لدنامتها وخستها .

وقد ذكرت المرأة في الحديث مع الدنيا ، وجعلت قسماً قائماً بذاته مقابلاً لها مع أنها داخلة في مسماها باعتبارها من أفضل متعها ؛ إشارة إلى سبب ورود الحديث من الهجرة إلى المدينة للتزوج بها ، وإيذاناً بشدة فتنة المرأة ، وزيادة في الحث على انتفاء ضررها ؛ روى البخاري ومسلم وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما تركت في الناس بعدى فتنة أضرب على الرجال من النساء » .

بين الشريعة والقانون

نظرات في توثيق المعاملات المالية

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد اللطيف السبكي
المفتش بالأزهر

التوثيق بالكتابة :

قلنا فيما سلف : إن علماءنا — أحسن الله إليهم — وقفوا من آية التوثيق في الدين عند رأيين : ففريق يرى وجوب التوثيق على وجه الإطلاق ، وفريق يرى ندب التوثيق كذلك .

وقلنا : إن كلا من الرأيين مع ما استند إليه من أدلة ، لم يسلم من التوهين ، وإن المسألة لم تنزل بحاجة إلى الاجتهاد والترجيح لأحد الرأيين ، أو لما يبدو من رأى ثالث .

ونحن إذا لم نتأثر بنزعة التعصب لفريق أو التحيز لأحد المذهبين ، وإذا وقفنا أمام النصوص وجها لوجه ، واستأنسنا بروح التشريع ، وما يقصد إليه من الخير للناس ، فجائز أن نهتدي إلى رأى تستريح إليه النفس .

وقد تحدثنا في مطلع هذه البحوث عن شأن المعاملة المالية في حياة الناس ، ونحن نعلم إلى جانب ذلك أن الشريعة نهت عن التبذير ، وعن تعريض المال للضياع في مثل قوله تعالى « وكأوا واشربوا ولا تسرفوا » وفي مثل قوله عليه السلام : « إن الله حرم عليكم عقوق الامهات - إلى قوله - وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة الاموال » (ص ٣١٣ ج ٤ تيسير الوصول) . فإذا جاءت آية الدين صريحة في الامر بالكتابة والإشهاد ، محافظة على المال ، ومنعاً من التنازع ، وجب أن نسايرها فيما وجهتنا إليه صراحة ، وأن ننزل بها عند ما قصدت إليه من الأغراض ، وأن نبعد بها عما يوهن مغزاها .

بدأ الله سبحانه آية الدين بصيغة النداء ، يأياها ، التي يستعملها العرب في مناداة البعيد حقيقة ، أو المنزل منزلة البعيد ، لزيادة التنبيه إلى المقصود ، ثم وصف الله عباده في النداء بوصف الإيمان ، وفي هذا الوصف استنهاض لهم أن يحرصوا على ما وجه اليهم من التكليف ؛ فإن الإيمان الصحيح يقضى عليهم بذلك ؛ وكان ممكناً أن يخاطبهم بوصف غير ذلك مثل : يا بني آدم ، يا عبادي ، يا أيها الناس ، الخ ، ولكنه عدل إلى خطابهم بوصف الإيمان لإيقاظ شعورهم ، وإزالة الغفلة عن مداركهم ، ليزدادوا إقبالا على ما وراء النداء .

ثم ساق الله تعالى بعد النداء في عرض الآية نحو اثنتي عشرة صيغة من صيغ الامر والنهي في صدد كتابة الدين ، ومن الذي يكتب ، ومن يشهد ، ومن يملئ على الكاتب من المدين أو وليه إذا كان هو ضعيفا الخ ، وكل هذه الصيغ واضح بين في مدلوله ، فلا إجمال ، ولا تشابه ، ولا سوى هذين مما قد يخفى معه المراد .

ثم ختم الله الآية بثلاث صيغ يعتبر كل منها توجيها لما ساق من أمر ونهي ، وهي قوله تعالى : ذلكم أقسط عند الله ، وأقوم للشهادة ، وأدنى ألا ترتابوا .

ومن هذا الأسلوب يتجه الذهن اتجاهها أوليا إلى أن الاستيثاق الكتابي في الدين واجب شرعا وإن لم يكن شرطا في صحة التعامل . وليس في الآية نص له من القوة ما لهذه النصوص أو ما يقرب من ذلك يصرفها عن الوجوب ، فإذا رأيت فقهاء المذاهب أو كثيرا من المفسرين يتجهون بعد ذلك إلى القول بالندب كان قولهم - عندي - موضع الكثير من التردد ، وإن كان من بينهم علماء مذهبي - مع إجلالي لهم جميعا - وقد أسلفنا ما استند إليه القائلون بالندب . وبما زاده الحنابلة عن سواهم في التخلص من القول بالوجوب أن علموا للندب بقولهم : إنه أقطع للنزاع ، وأبعد من التجاحد ، ثم زادوا ثانيا فقالوا : إن الندب في الكتابة والإشهاد خاص بماله خطر ، فأما الأشياء القائمة الخطر كحوائج البقال والطار وشبهها فلا يستحب فيها ذلك ؛ لأن العقود فيها تكثر ، فيشق الإشهاد عليها ، وتقبح إقامة البينة عليها ، والرافع إلى الحاكم من أجلها ، بخلاف الكثير . انتهى (ص ٣١١ ج ٤ مغني) .

وليست هذه التوجيهات عندي بكافية في التغلب على ما تعطيه الآية في قوة من الدلالة على الوجوب .

وتوضح ما أقول من وجهين يطول فيهما السياق .

(الوجه الأول ، وفيه استطراد) : أن قوله تعالى « فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي أؤتمن أمانته » جزء أخير من الآية : إذ الآية ذات شقين : أحدهما في الكتابة ، والثاني في الرهن .

والجزء الذي معنا من الشق الثاني ، جاء بعد ذكر الرهن ، فهو بعيد نوعا عن سياق الأمر بالكتابة ، وهو من أجل موقعه هذا مؤد - فيما أفهم - لاحتتمالات ثلاثة : (١) أن يكون كما قال الجمهور نسخا للوجوب أو بيانا من أول الأمر لأن المراد التدب ، ومع أن هذا ملتبس نظر الكثيرين ، فيبعده أن هذا الجزء جرى به بعد الانتقال من صدر آية فسيحة إلى عجزها ، وبعد استثناء التجارة الحاضرة عما يكتب ، وبعد الأمر بالاستشهاد على الكتابة ، والأمر كذلك بالإشهاد على البيع ، أى بعد الانتقال من هذا كله الى الكلام على الرهن : والرهن طريق آخر من طرق النوثيق ، وذلك عما يبعد عن الذهن ارتباط هذا الجزء بما سبق أولا : لا على جهة النسخ ، ولا على جهة البيان للبراد .

(ب) الاحتمال الثاني ، وهو أوجه من سابقه : أنه للحض على الامانة في الرهن بخصوصه إذا وقع به الاستيثاق ، إذ المفروض أن الرهن عين مالية كفيلة بسداد الدين ، وقد ترتفع قيمتها عن مقدار الدين يوما ما فيطمع فيها المرتهن ويحدها مؤثرا حظ نفسه على مصلحة صاحبها .

وقد يهبط ثمنها عند الحلول عن مقدار الدين ، فيتخلى عنها صاحبها منكرا أنه مدين وأنها مرهونة من قبله . ولا يمنع من هذا الغرض تقدير وجود الشهود ، فإن الجمهور الذين تنجه إليهم بتلك الاحتمالات لا يرون الاستشهاد واجبا ، وعلى أصلهم هذا يجوز ألا يكون مع الرهن شهود ، أو كانوا وانعدموا ؛ فالتوثيق بالرهن مع كونه تأمينا لا يمنع احتمال التجاحد على ما صورته من جانب أحد المتعاملين ، ولا يكون الرهن كافيا في حسن القضاء من المدين ، ولا في حسن الاقتضاء من الدائن ، فكلاهما بحاجة إلى التذكير بالامانة التي في عهده ؛ وهى الدين عند الاول ، والرهن عند الثاني ؛ وكل منهما مؤتمن من جانب صاحبه ، ومقصود بقوله تعالى « فليؤد الذي أؤتمن أمانته وليتق الله ربه » ، فلا يحيف الواحد بالآخر . ويساعدنى

على هذا التوجيه أن الله عبر بالموصول وهو صفة لغير مذكور ، ويصح تفسيره بكل منهما أو بما يشملهما جميعاً بأن يقال : فليؤد المدين الذى أؤتمن على الدين أمانته ، أو فليؤد الدائن الذى أؤتمن على الرهن أمانته ، أو فليؤد المؤتمن أمانته ، وكلاهما مؤتمن ولا ريب ؛ فتكون صلة الموصول وهى جملة « أؤتمن » موصوفاً بها كل منهما ، وحيث كان الوصف الذى نيط به الأمر وتعلق به الحكم عالقاً بكل منهما ، يكون التعميم مقصوداً ؛ ولو لم يكن كذلك لقال : فليؤد المدين - مثلاً - أمانته . وعلى هذا الاحتمال يكون ذلك الجزء من الآية قاصراً على الرهن المقرره به فى الذكر ، ولا شأن له بفسخ الأمر أولاً ، ولا ببيان أنه للندب كما يريد القائلون فى تكاف .

الاحتمال الثالث : أن تتوسع فى توجيه ذلك الجزء من الآية ، فلا نجعله خاصاً بالكتابة كما ذهب القائلون بالندب ، ولا نجعله خاصاً بالرهن كما قلت فى الاحتمال الثانى ، ولنا فى هذا التوسع أفهام ثلاثة :

الفهم الأول - وقد قال به ابن جرير والضحاك ، واختاره الشيخ محمد عبده - أن نجعل هذا الجزء محمولاً على حالة الضرورة التى لا يتيسر فيها كتابة ولارهن ، فتكون المدائنة مستندة إلى مجرد الأمانة للضرورة التى أباحت عدم الاستيثاق .

الفهم الثانى : أن الآية اشتملت على الأمر بالاستيثاق وجوباً بالكتابة أو بالرهن بدلاً منها ، ولم يقف التكليف عند هذا الحد ، بل أمر كل من المتعاملين فى الجزء الذى نتحدث عنه أن يؤدى الأمانة التى ارتبط بها التعاقد على وجه السكال ، وأن يتقى الله ربه فى الوفاء بها كذلك ؛ والمعنى : إذا تم بينكم التعاقد والاستيثاق الواجب بالكتابة أو بالرهن أو بهما معاً ، فعليكم واجب آخر بعد هذا ، وهو أن يرمى كل منكم حق الأمانة فيؤدى المدين دينه ، ولا يماطل ولا يتنصل من الوثيقة بتزييفها أو الطعن عليها بأن صاحبه تلاعب فيها أو عبث بها ، ولا يتركها إن كانت عينا ، ويجحد ما عليه منكراً أصل التعامل .

وكذلك الدائن ، عليه أن يؤدى الأمانة التى عنده ، وهى الوثيقة الكتابية أو العين المرهونة ، فلا يحرف الكتابة ، ولا ينقص العين المرهونة ، ولا يخون باستعمالها استعمالاً غير مسموح به ، ولا يتلصق فى تسليم الوثيقة إلى صاحبها حين

الوفاء ، مخافة أن يثير التلصؤ نزاعا بينهما ، أو مخافة أن تبقى حتى تنتقل إلى ورثة الدائن ، فيعودوا إلى المطالبة بالدين ، أو يدعوا ملكها إن كانت عينا .

ذلك كله ، لأن المعاملة وإن كانت موثقة بكتابة أو رهن ، مبنية على فرض الأمانة في الجانبين ابتداء ودواماً ؛ فإن الله تعالى يأمر المتعاملين أن يؤديوا الأمانة ويتقيا الله ربهما .

الفهم الثالث ، الذى يصح أن نأخذ به وهو يتفق نوعاً مع توجيه حسن للشيخ رشيد رضا : أن يكون هذا الجزء من الآية مراداً منه عموم الأمانات التى تشمل ما نحن فيه وغيره ، فكأن الله عز شأنه بعهد أن بين حكم الاستيثاق بالكتابة والإشهاد والرهن ، عجم في أمره بالأمانة في المعاملة يشمل ما كان موثقاً وما لم يتيسر توثيقه ، وما كان مؤجلاً وما كان حالاً ، وما كان معاوضة ، وما لم يكن معاوضة .

وفى هذا العموم تدخل الوديعة والعارية واللقطة ، وكل ما تناولته اليد بغير تعاقد ، كما دخل القرض والبيع المؤجل والناجز لما فيه من ضمان الدرك ، فكل واحد من هذه الأنواع بحاجة إلى الصدق حتى يؤدي المدين دينه في كرم ووفاء ، ويتقاضى المستحق حقه في رفق وحسن اقتضاء ؛ وحتى لا يكون في البيع خلافة - غش - ولا تدليس ، ولا يتقدم أحد المتبايعين إلى صاحبه بشيء مستحق لغيره ليكون كلاهما ضامناً لعهد ما بذله من ثمن أو مشن ضماناً صحيحاً .

وإلى هذا كله أرشدنا النبي صلوات الله عليه بما فعل في الوثيقة التى كتبها للعلاء بن خالد ، وقد باع النبي عليه السلام عبداً ، أو أمة ، على ما تقدم نقله عن الترمذى ، فكانت الوثيقة لضمان العهد في المبيع ؛ وأرشدنا كذلك عليه السلام بقوله في حديث جابر « رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى ، وإذا اقتضى ، وبقوله « إذا تبايعت فقل لا خلافة ، أى اشترط عدم الغش ، وهكذا فى غير حديث .

وبذلك كله أمرنا الله سبحانه وتعالى أمراً عاماً فى قوله « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، ولهذا الإسهاب خلاصة سنعرض لها إن شاء الله وكان فى الأجل بقية .

عبرة وعظة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ الطيب النجار
المدرس بكلية أصول الدين

تلك الحوادث والقوارع التي تنزل بالآفراد والجماعات ، من زأغت قلوبهم وعميت بصائرهم ، وانحدروا عن جادة الصواب ، وابتعدوا عن الحق ، جزاء وفاقا لما اكتسبت أيديهم ، وزينته لهم نفوسهم الخبيثة ، وأهواؤهم الفاسدة - عبرة لذوي الألباب وعظة ، لأنها ترك في نفوس من يعلمونها مشاهدة أو سماعا أثرا يوقظهم من سباتهم ، وينبهم من غفلتهم ، ونورا يسعى بين أيديهم وأرجلهم ، ومرشدا يصرفهم عن المثالب والمهالك ، ويهديهم للتي هي أقوم وأجدى عليهم وأنفع .

من أجل ذلك ترى المزعجات والكوارث ، والآفات التي تصيب الأنفس والثرات ، لا تكاد تعدو جيلا من الأجيال ، ولا عصرا من العصور ، ولا تكون من ساحته بمنجاة ، بل أصبحت متآخية مع الزمن ومتحالفة معه ، لا يتبعد عنه ولا يتبعد عنها ، نذيرا لأهله ، وآية لهم زاجرة ، علمهم يعتبرون ويتعظون .

وترى كتاب الله الذي لا ينطق إلا بالحق ، يحدث كل العصور بما كانت عليه بعض الأمم السابقة : من حضارة وعمران ، وتطاول في البنيان ، وجنات معروشات وغير معروشات ؛ وما أجمل هذا الحديث وأحلاه ! فهو حديث مستطاب ، يلقى السامع له بالآبأذن صاغية ، وقلب واع ، وشعور مرهف ، لأنه حديث تعلق بمحبوبة وقرّة عينه وأشهى مرغوب فيه ؛ تعلق بما هو زينة الحياة الدنيا وبهجتها ، وأشرب في كل قلب حبه والحرص عليه ، والتماس كل الطرق في سبيل الوصول إليه ، مهما كلفه ذلك من جهد ونصب وإعياء وكلل ؛ لذلك تراه ينطبع في نفسه ، ويستقر في ذهنه ، ويحسب أنه بين أحضانهم يعاصرهم ويعيش معهم ، وكأنه ينعم بما ينعمون ، يستنشق طيب الهواء ، ويشرب من نير الماء ، ويأكل فاكهة تم نضجها

وطاب مذاقها، وبينما هو معهم في نعمة فاكهين إذ يقرع سمعه أنهم يُبدلوا بنعيمهم
بؤسا وشفاء، وبخيرهم شرا وضرا وطاماما غير مستساغ، جزاء لهم على كفرهم
وعدم شكرهم لمن أنعم عليهم بتلك النعم الجزيلة .

إذ ذاك يفيق من سباته، ويدرك أن الحديث بشأن قوم سابقين بسطروا النعمة
وجحدوها، فأزالها عنهم وأذاقهم لباس الجوع والخوف، وحالفهم صروف
الليالي وقوارعها، ونوائب الأيام ونوازلها . وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة
مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان، فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس
الجوع والخوف بما كانوا يصنعون .

إذ ذاك يعلم علم يقين أن كفر النعمة يوجب زوالها، وما أحرص
الناس عليها ! ويترك في النفس أسى ولوعة، وما أشد ذلك على النفس وأمره ! .

وإنك لتجد هذا يتجلى بصورة واضحة في مثل قول الله تعالى : لقد كان أسبا
في مسكنهم آية : جنتان عن يمين وشمال، كلوا من رزق ربكم واشكروا له، بلدة طيبة
ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم، وبدلناهم بجنتين ذواتي
اكل سخط وأثل وشيء من سدر قليل . ذلك جزيناكم بما كفرتم، وهل نجازي
إلا الكفور^(١) .

جعلهم الله أحدىة سائرة، وعظلة زاجرة، ومثلا مضروبا، ولسانا للحق،
وحجة على الباطل، وهداية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

ولذلك لما ذكر الله سبحانه وتعالى قبائح المشركين من الإعراض والتكذيب
والاستهزاء، في الآيات الرابعة والخامسة والسادسة من سورة الأنعام، وعظمهم
بالقرون الماضية، فقال عز من قائل : ألم يروا كم أهلكننا من قبلهم من قرن
مكناهم في الأرض ما لم نمكن لهم، وأرسلنا السماء عليهم مدرارا، وجعلنا الأنهار
تجري من تحتهم، فأهلكنهم بذنوبهم، وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين .

(١) سبأ : اسم قبيلة . ومسكنهم مأرب باليمن . جنتان : جماعتان من البساتين . العرم : المطر
الشديد . والأكل : المسأ كول . والسخط : ثمر مر : أى ذواتي أكل مر إشع . والأثل : شجر يشبه شجر
الطرفاء لا ثمر له ، وهو مغطوف على أكل لا على خط لأن الأثل لا أكل له .

ومن ذا الذى لا يعتبر ولا يتعظ ، ولا يرعوى عن غيه وضلاله ، حينما يسمع قول الله فى شأن فرعون وقومه : « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ، وآنعة كانوا فيها فاكهين . كذلك وأورثناها قوما آخرين . فما بكت عليهم السماء والأرض ، وما كانوا منتظرين ، .

ولم كان العبرة فى ذلك وجلالها وعظيم أمرها ، جاء هذا النوع فى كتاب الله مستفيضا ، وجاء فيه الحث على الضرب فى مناكب الأرض والسير فيها ، والنظر فى آثار الهالكين ، ليشاهدوا بأنفسهم الدليل المادى على سوء مغبة الزائغين كيف كان مصرعهم وهلاكهم ، فقال : « قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ، « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ، هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ، .

وكما يرشدنا القصص القرآنى الى أن كفر النعمة يوجب زوالها ، فضلا عما أعد من العذاب الشديد ، كذلك يرشدنا الى أن طاعة الله وشكره على نعمه يوجبان حفظها والمزيد منها ، فها هو ذا داود عليه الصلاة والسلام أطاع ربه وأتاب إليه وشكره على نعمه ، فألآن له الحديد ، وعلمه صنعة الدروع ، وأنعم عليه بابنه سليمان الذى ورثه ملكه وعلمه وحكمته . ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير (١) ، « لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد ، .

وعلى الجملة فالقصص القرآنى يقطع نياط قلوب المستهزئين ، ويخلع أفئدة العتاة المستكبرين : شهر سيف التخويف والوعيد فى وجوههم ، ولوح بغضن الزيتون ولين العيش للمعتبرين المتعظين .

(١) أوبي منه : أى رجعى معه التسبيح . ونصب الطير بالمطف على فضلا . ألنا له الحديد أى جعلناه لنا كالشمع يصرفه فى يده كيف يشاء من غير إحماء بنار ولا ضرب بمطرقة . سابغات : دروعا واسعات . وهو أول من اتخذها على ما قيل . وقدر فى السرد : أى قدر فى مساميرها فلا تعملها دقا ولا غلاظا .

فهو يعلم دماثة الأخلاق، ويعصى النفوس، ويهذب الطباع، ويحشد سورة الغضب، ويلين العريكة، وهو المثل الأعلى في نشر مظارف الحكمة والآداب العالية، وإفارة طريق الخير لمن أراد سلوكا.

هذا وإن القصة الواحدة لنذكر غير مرة في مواطن كثيرة وفي غير سورة واحدة، ولا يحملنك هذا على أن يأخذك العجب من تكرار في كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، لأن ذلك لمزايا وحكم سامية قصدها محكم الآيات مدير الكائنات، العالم بمواطن الأمور وخفيات الأسرار.

قد تذكر القصة مشتملة على زيادة في سورة ومكان لا تقتضاه الحال والمقام ذلك، وتأتي في سورة أخرى أو في مكان آخر من غير هذه الزيادة لاقتضاه الحال عدم ذكرها. وقد تذكر القصة في موطن على طريق الإطناب، وفي موطن آخر على طريق الإيجاز، ليتجلى إعجاز القرآن ومبلغ فصاحته، ورصانة لفظه، وجودة نظمه على كلتا الطريقتين. وإنك لتقرأ القصة في موضع، ثم تقرؤها في آخر وآخر، وفي كل هذا تشعر كأنك تنتقل من روضة إلى روضة، تشاهد زهورا ذات ألوان تأخذ بالابصار، تشاهد تفسيمات بديعة تسحر العيون وتملك الألباب، تنشط من يانع الثمار، وتجنح من كل مائد وطاب، وفي كل هذا لا يمل التاريء ولا يسأم السامع، بل تزداد الحلاوة وتظهر الطلاوة، وتنشع غشاوات الابصار، وتستدير القلوب، وتصفو النفوس، وتذعن العقول الجبارة، بأن هذا كلام خلاق القوى والقدر، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

رفض النصيحة

قال سبيع لأهل النمامة بعد إيقاع خالد بهم:

يا بني حنيفة: بعدا لكم كما بعدت عاد وثمود، والله لقد أنبأكم بالأمر قبل وقوعه، كأني أسمع جرسه، وأبصر غبه، ولكنكم أبيتم النصيحة، فاجتنيتم الندامة. وإني لما رأيتمكم تتهمون النصيح، وتسفهون الحليم، استشعرت بكم البأس، وخفت عليكم البلاء. والله ما منعكم التوبة، ولا أخذكم على غرة. ولقد أمهلكم حتى مل الواعظ، وهزى الموعوظ.

مفردات فلسفية

دين

لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى
مدرس الفلسفة بكلية أصول الدين

أولا — في الفرنسية :

١ — قد يراد بهذا الاصطلاح نظام اجتماعي تأخذ به أنفسها طائفة من الناس
يوحد بينها :

أولا — القيام بأنواع خاصة من الشعائر والأعمال المطردة .

ثانياً — الاعتقاد في قوة أو قيمة مطلقة ، أى حقيقية بمعنى الكلمة حتى
لا يمكن أن يوازن شيء تما بها ، ويكون هذا الاعتقاد هو الغرض الذي تعمل
الطائفة على تمكينه دائماً في القلوب .

ثالثاً — الاتصال بقوة روحية يراها المرء أعلى منه ، قوة يتمثلها منتشرة في
الكون [وهذا مذهب الحلول] ، أو ذات كثرة ، أو متوحدة وهي حينئذ : الله .
ب — وقد يراد به نظام يصطنعه الفرد لنفسه ، أو بعبارة أوجز : نظام
فردى : من العواطف والاعتقادات والأعمال التي تتخذ الله موضوعاً لها . وفي
هذا المعنى يقول إميل بوترو E. Boutroux في كتابه « العلم والدين » ص ٣٩٢ :
الدين على التحقيق هو أن يتخذ المرء ، بجانب وجهة نظر العلم ، وجهة نظر العاطفة
والإيمان La foi .

وتعبير « الدين الطبيعي » (وكان يستعمل خاصة في القرن الثامن عشر)
يراد به الاعتقاد في وجود الله وروحانية النفس وخلودها ، وطابع الالتزام للعمل

الاخلاق ، على أن يكون مصدر ذلك كله وحى الضمير والنور الداخلى الذى يثير كل إنسان . ولهذا ينقد جان جاك روسو فى كتابه « إميل » ، المسيحيين الذين يتكفون أن يخلطوا بين هذا الاعتقاد ، أو الدين الطبيعى ، وبين الإلحاد أو عدم الدينية .

(ج) وأخيرا ، قد يراد بكلمة « دين » ، احترام يمنح الى المبالغة لمبدأ أو عادة أو عاطفة أو نحو ذلك ؛ ومن ثم يقال : « دين السكامة المعطاة » . وهذا المعنى الذى هو أقدم معانى كلمة « دين » ، على الاحتمال الغالب ، كان فى الماضى أكثر استعمالا منه اليوم .

(د) وإذا تركنا « لالاند » ، وفاموسه الضخم فى المقدمات الفلسفية ، نجد القسيس إيل بلان Elie Blanc ، فى معجمه الفلسفى يذكر أن الدين بمجموع مذاهب وعقائد تتعلق بعلاقة الإنسان بالله . وهذه المذاهب اختلفت باختلاف الأزمان والشعوب ، بل تعارضت فيما بينها فى مسائل هامة ، ومن ثم كان ما تعرف من ديانات عديدة : الوثنية ، اليهودية ، المسيحية ، والإسلام . ثم يعقب المؤلف على هذا بقوله بأنه لا يوجد فى الحق بين هذه الأديان إلا دين حق واحد ؛ وهذا الدين لم يولد كاملا ، بل كمل مع الزمن ، مثله فى ذلك مثل كثير من المذاهب المختلفة .

تعليقات :

١ — اشتقاق كلمة « دين » ، مختلف فيه ؛ فأغلب القدامى ، ومنهم القديس أغسطينوس المتوفى عام ٤٣٠ م ، يرجعون هذه الكلمة إلى كلمة « ربط » ، ومن ثم يرون فيها معنى الصلة . والرباط سواء كان رباطاً فيه معنى الإلزام ببعض الشعائر ، أو فيه معنى الصلة بين الناس بعضهم ببعض ، أو بين الناس والآلهة أو الإله .

وفى اللغة اللاتينية ، قد تدل كلمة « دين » ، بصفة عامة ، على عاطفة الخوف والخشية فيما يحس به الإنسان من التزام نحو الآلهة ، والقول فى ذلك العصر بآلهة متعددين جعل عندهم كثرة فى الأديان ؛ وحين وصل الإنسان الى الاعتقاد فى إله واحد ، جرّه حتماً إلى القول بدين واحد هو وحده فى نظر أصحابه الدين الحق .

ومنذ هذا اليوم صارت كلمة « دين » تدل على هذه النواحي الثلاث : مجموعة الحقائق التي يؤكد بها الدين ، مجموعة الأعمال الشعائرية ، العلاقة المباشرة بين الروح والله . وهذا المعنى صار ، في أيامنا هذه يعدل المعنى الأول والثاني . ج . لاشيليه J. Lachelier عن « لاند » .

٢ — إن الذي يكون حقاً ماهية الدين هو التمييز بين نوعين من الوجود بين عالمين يختلف الواحد منهما عن الآخر . وهذا على ما يلوح ، هو فكرة إيكين Eucken حينما يذهب إلى أن ما هو أساس أو ذاتي في الدين ، في كل صورته وأشكاله ، هو أن نرى في مقابل العالم الذي يحيط بنا نوعاً آخر من الوجود . ومن الممكن - كما يقول - أن يكون دين بغير العقيدة في إله ، كما يثبت هذا الدين البوذي القديم ، ولكن كلمة « دين » تكون كلمة لا معنى لها إذا لم نقر بوجود عالمين ، وبوجود نوع آخر من الوجود أسمي ، بما لا يقدر ، من الوجود الذي نحسه . ج . بنرubi J. Benrubi عن « لاند » أيضاً .

ثانياً — في اللغة العربية :

- ١ — في لسان العرب : أن الدين هو الجزاء والطاعة والعادة والإسلام .
- ٢ — وفي مفردات الاصفهاني : أن الدين يقال للطاعة والجزاء واستعير للشرعة ، والدين كالملة .
- ٣ — ويرى الشهرستاني (١ : ٤٦ - ٤٧) أن الدين الطاعة والانقياد ، وأنه قد يرد بمعنى الجزاء والحساب ، وأن الملة والشرعة يتفرعان عن اجتماع الناس وحاجتهم في سبيل خيرهم للتمانع والتعاون .
- ٤ — والجرجاني في التعريفات (ص ٧٢ - ٧٣ طبع استانبول) يذهب إلى أن الدين والملة متحدان بالذات ، مختلفان بالاعتبار ؛ فالشرعة من حيث إنها تطاع تسمى ديناً ، ومن حيث إنها تجمع (أي تجمع الناس على الأخذ بها) تسمى ملة . وقيل بينهما فرق ، وهو أن الدين من الله والملة من الرسول .

٥ — وبعد هؤلاء جميعا نجد التهانوي (الكشاف - مادة دين) بعد ما بين معاني الدين اللغوية ، يقول بأن الدين وضع إلهي سائق لذوى العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل . ويطلق على ملة كل نبي ، وقد يختص بالإسلام . ويضاف إلى الله لصدوره عنه ، وإلى النبي لظهوره منه ، وإلى الأمة لتدينهم به وانقيادهم له .

هذا ، والدين إذا لم يقيد بأنه وضع إلهي ، أى إذا لوحظ من الناحية اللغوية وحدها ، يطلق على الدين الحق وعلى الأديان الباطلة أيضا ، ما عدا ما لا يقر بالبعث والجزاء منها ، لأن معنى الجزاء ملاحظ في أصل اشتقاق كلمة « دين » من « دان » ، على ما هو معروف . والقرآن ، حين يقول « لكم دينكم ولي دين » ، يفيد تحول كلمة « دين » للباطل أيضا من الأديان . لكن الدين الحق ليس في رأى الشرع ، إلا ما كان وحيا من الله للمصطفين من خلقه لهداية الناس الصراط المستقيم ، بما يجيئ به من العقائد والأصول التى لا يختلف فيها الرسل . ويدل لذلك قوله تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » . أى أوصيناك يا محمد وسائر الأنبياء دينا واحدا .

وبعد : من هذا الذى رأيناه فى معنى كلمة « دين » ، عن المفكرين الغربيين والعلماء المسلمين ، نستطيع أن نؤكد أنه ليس من اليسير تحديد هذه الكلمة تحديدا جامعا مانعا كما يقولون ، تحديدا يرضاه جميع من عرض لبيان معناها . إذا ، لنا أن نكتفى بالقول بأن التحديد الذى نستخلصه مما سبق ورضاه ، يجب أن يلاحظ فيه شعور المرء أو إحساسه بقوة عليا ، أو كائن أعلى مُعلوا مطلقا ؛ وعاطفة تدفعه للإيمان به وتجعل بينه وبينه صلة وثيقة حتى للزمه بعبادته على مظاهر مختلفة ؛ وبعد هذا وذاك ، يقين المتدين بأن هذا المكان الأعلى ، أو الإله ، سيدينه فى اليوم الآخر بما فعل فى هذه الحياة الدنيا .

الركن الشرعى للجريمة

فى الشريعة الاسلامية وفى القوانين الوضعية

سريان القانون على المكان

لحضرة الاستاذ الدكتور أحمد محمد إبراهيم

القاضى بمحكمة المنيا الوطنية

القاعدة العامة فى التشريعات الحديثة ، هى : أن القوانين الجنائية إقليمية ؛ بمعنى أنها تسرى على كل من يرتكب جريمة على أرض الدولة بصرف النظر عن جنسيته ، فيستوى أن يكون من رعايا الدولة التى وقعت فيها الجريمة ، أو من رعايا دولة أخرى . وهذا المبدأ لم يبدأ إلا حديثا ؛ وكانت القاعدة القديمة هى : أن القوانين الجنائية شخصية ؛ أى أن قانون الدولة يسرى على رعاياها دون سواهم ، ويسرى عليهم فى أى مكان وجدوا ؛ فهو ينطبق عليهم إذا ارتكبوا جريمتهم فى دولتهم ، كما يسرى عليهم إذا ارتكبوا الجريمة فى دولة أخرى . فإذا افترضنا أن انجلترا ارتكب جريمة فى مصر ، وجبت محاكمته فى مصر ، وخضوعه للقضاء المصرى وللنوانين المصرية ، ما دمنا نأخذ بقاعدة إقليمية القانون . أما إذا أخذنا بمبدأ شخصية القانون فليس من حق مصر أن تحاكمه ؛ بل تختص بمحاكمته الدولة التى تتبعها دون سواها .

ويرجع الأخذ بمبدأ إقليمية القانون الجنائى إلى أنه مفروض على كل شخص العلم بقانون الدولة المقيم على أرضها ؛ فإذا خالفه استحق العقاب ؛ كما أن الجريمة لا تخل إلا بأمن الدولة التى وقعت فيها ؛ ولكى يكون للعقوبة أثرها الرادع لابد من محاكمة الجانى حيث ارتكب جريمته ؛ أما إذا عوقب فى الخارج فإن هذا الأثر قد ينعدم ، فالغالب أنه لن يشعر أحد بمحاكمته أو بالعقوبة التى وقعت عليه . وفضلا عن ذلك فإن الجريمة لا يسهل إثباتها على الجانى إلا إذا تمت المحاكمة

في مكان ارتكابها ، حيث آثار الجريمة وشهودها ، ولو جازت محاكمة الجاني في الخارج لتعذر إثبات الجريمة في كثير من الأحيان .

ويترتب على الأخذ بمبدأ إقليمية القانون الجنائي أن كل دولة تختص بالعقاب على كل الجرائم التي تقع على إقليمها مهما كانت جنسية مرتكبها ، وعلى العكس من ذلك لاسلطان لها على من يرتكب جريمة خارج حدودها ولو كان من رعاياها . ولكن هذا المبدأ بنتائجه لا يؤخذ به على إطلاقه ، فكل دولة ترى أن من الواجب على رعاياها في الخارج أن يكونوا حسنى السمعة ، وليس مما يشرفها أن يكونوا من المجرمين ؛ ولذا فإنها تعاقب رعاياها الذين يرتكبون جرائم خطيرة في الخارج متى عادوا إليها . ومن جهة أخرى فإن سهولة المواصلات بين الدول جعلت من الممكن أن يرتكب بعض الأجانب جرائم ضد دولة من الدول دون أن يدخلوا إقليمها . وقد استدعى ذلك من الدول أن تعاقب من يرتكب نوعا معينا من الجرائم المخلة بأمنها وسلامتها ، أيا كانت جنسية مرتكب الجريمة ، ولو كانت الجريمة لم ترتكب إلا خارج إقليمها .

ونذكر على سبيل المثال للقوانين الحديثة نصوص قانون العقوبات المصري في هذا الموضوع :

مادة ١ — تسرى أحكام هذا القانون على كل من يرتكب جريمة من الجرائم المنصوص عليها فيه .

مادة ٢ — تسرى أحكام هذا القانون أيضا على الأشخاص الآتي ذكرهم :

أولاً : كل من ارتكب في خارج القطر فعلا يجمله فاعلا أو شريكا في جريمة وقعت كلها أو بعضها في القطر المصري .

ثانيا : كل من ارتكب في خارج القطر جريمة من الجرائم الآتية :

(١) جنابة مخلة بأمن الحكومة مما نص عليه في البابين الأول والثاني من الكتاب الثاني من هذا القانون (١) .

(١) الباب الأول خاص بالجنايات المضرة بالحكومة من جهة الخارج . والباب الثاني خاص بالجنايات والجنح المضرة بالحكومة من جهة الداخل .

(ب) جناية تزوير مما نص عليه في المادة ٢٠٦ من هذا القانون .

(ج) جناية تزيف مسكوكات مما نص عليه في المادتين ٢٠٢ و ٢٠٣ من هذا القانون ، بشرط أن تكون المسكوكات متداولة قانونا في القطر المصرى .

مادة ٣ - كل مصرى ارتكب وهو خارج القطر فعلا يعتبر جناية أو جنحة في هذا القانون ، يعاقب بمقتضى أحكامه إذا عاد الى القطر المصرى ، وكان الفعل معاقبا عليه بمقتضى قانون البلد الذى ارتكب فيه .

فالمادة الأولى : تقرر القاعدة العامة وهى إقليمية القانون الجنائى ، فتقضى بأنه يسرى على كل من يرتكب جريمة نص عليها فيه ، ولم تفرق بين جنسية وأخرى ؛ فالجنائى يعاقب مهما كانت جنسيته . وأما المادة الثانية : فحددت بعض الجرائم الخطرة وأعطت الدولة حق عتاب مرتكبها ولو ارتكب جريمته خارج مصر . والمادة الثالثة : تقضى بخضوع المصرى لقانون دولته إذا ارتكب جريمة فى الخارج يمكن وصفها فى مصر بأنها جناية أو جنحة ، فإذا كانت مخالفة فلا محل لعقابه ، ويشترط أن يكون الفعل الذى وقع من المصرى معتبرا جريمة فى الدولة التى وقع فيها ، أما إذا كان الفعل مباحا هناك فلا محل لعقاب المصرى ولو كان هذا الفعل معاقبا عليه فى مصر ، اللهم إلا إذا خضع المصرى بجريمته لأحكام المادة الثانية .

ويشترط وفقا لأحكام المادة الثالثة ، أن المصرى لا يعاقب على فعله الذى وقع منه فى الخارج إلا إذا عاد الى مصر ، فطالما كان فى الخارج فلا شأن لدولته به .

واضح مما سبق أن أحكام القانون المصرى مزيج من مبادئ إقليمية القانون وشخصيته ؛ فهو إقليمى إذ أنه يسرى على كل القاطنين فى مصر ، وهو شخصى إذ يسرى على المصريين فى الخارج إذا توافرت الشروط التى تطلبها المادة الثالثة . بل وأكثر من ذلك فإن القانون المصرى يمد سلطانه على رعاياه وغير رعاياه الموجودين فى الخارج ، متى وقعت منهم جريمة من الجرائم المنصوص عليها فى المادة الثانية .

بقى علينا أن نبين معنى إقليم الدولة ؛ ويقصد به الأرض التى تتكون منها

بحدودها السياسية المعروفة بها لدى الدول ؛ وسيادة الدولة لا تشمل أرضها فحسب ، بل تشمل الجو الذى يظلمها ، وكذلك مياهها الإقليمية إذا كانت متصلة ببحر من البحار العامة . والمياه الإقليمية مقدرة فى القانون الدولى العام بثلاثة أميال بحرية .

والسفن تعد جزءا من إقليم الدولة التابعة لها السفينة طالما لم تكن فى المياه الإقليمية لدولة أخرى ، وكل إخلال بالقانون يقع على ظهرها يعتبر إخلالا بقانون الدولة التابعة لها السفينة . والعلة فى تقرير هذه القاعدة هى أن البحار العامة لا مالك لها ، وليس لدولة دون أخرى أى سلطان عليها ، وإزاء ذلك فإن القانون الذى يمكن تطبيقه على من يرتكب جريمة فى السفينة هو قانون الدولة التابعة لها السفينة ، ولا يوجد ما يرجح تطبيق قانون آخر عليه . وقد ترتب على ذلك أنه إذا كانت السفينة وقت ارتكاب الجريمة فى المياه الإقليمية لدولة من الدول فإن قانون هذه الدولة هو الذى يسرى لا قانون الدولة التى تتبعها السفينة .

هذه هى الأحكام الوضعية فى حكم سريان القانون على المكان ، ذكرناها بإيجاز ، وانتقل بعد ذلك الى بيان أحكام هذا الموضوع فى فقه الشريعة .

« يتبع »

ملاحظة (١) أثناء طبع الأجزاء السابقة من هذا البحث نشر بعضها بعدد ربيع الأول ص ٢٤٣ و ربيع الثانى ص ٣٣٤ تحت عنوان مسئولية الأطباء مع أن العنوان الصحيح هو : الركن الشرعى للجريمة فى الشريعة الإسلامية وفى القوانين الوضعية .

ملاحظة (٢) وقعت بعض أخطاء مطبعية فى بحثنا « حول ميراث القاتل » المنشور بعدد رمضان الماضى ترتب على بعضها تغيير المعنى ، ومن أهمها ما وقع بالصفحة ٨٠٠ سطر ١٢ فكتب « مع بعض محارمها » والصواب على بعض محارمها . كما أنه بالسطر العشرين كتب « المجنى عليه هذه النية » والصواب « هذه النية » بحذف كلمتى المجنى عليه .

في إعجاز القرآن :

مذهب الصرفة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ علي محمد حسن العماري
مبعوث الأزهر إلى السودان

كان العرب حين أنزل القرآن كأنما مُشِدوا بأمراس كستان إلى صم جندل ؛ فهم يسمعون القرآن ، ويعجبون به ، ويكادون يسجدون لفصاحته ، ويوقنون - يقين العارف الخبير - أنه ليس من قول البشر ، ولكنهم يحاولون أن يحطوا من شأنه ، وأن يهوتوا من أمره ، ويودون لو استطاعوا أن يأتوا بسورة من مثله تهرم روعته ، ويروغهم عجزهم عن معارضته ، والكبرياء تتسلط عليهم ، وخوف غلبة محمد صلى الله عليه وسلم عليهم تملأ نفوسهم ، وبوادر الإقرار بذبوته ، والإذعان لرسالته ، تبدو قريية من نفوسهم كل القرب ، فيحاولون أن يجعلوها بعيدة كل البعد .

والعاجز المكابر ، والمأخوذ المعاند ، لا يسلك إلا ما سلكه هؤلاء الجاحدون ، وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون . فقد جاموا ظلما وزورا . وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا . وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين ، وهمكذا أخذوا يتنقصون القرآن بهذه الكلمات الفضفاضة ، فرة هو سحر ، وأخرى هو شعر ، وثالثة هو أساطير الأولين ؛ ثم كانت هذه الدعوى العريضة التي لا يصدقها العقل ، ولا تسعفها القوة ، وهي دعوى العاجز دائما : لو نشاء لقلنا مثل هذا ، ولم لا تشامون ؟ ! إنهم كانوا كالقمل الهزيل أمام العملاق المقتول المضلات ، القوى البنية ، يدعوهم هذا إلى النزال ، فيجيب ذاك ، بصوت

يملاًفه ، ويخرق الاسماع ، ولا شيء غير الصوت . فهم - في الحق - كانوا مدعنين في قرارة أنفسهم بأنهم عاجزون ، ومدركين هذا الإعجاز في أذواقهم ، وعلى أطراف ألسنتهم ، وربما صرح بعضهم بشيء من ذلك ، فلا يعدو الكلام الواسع الفضفاض أيضاً . يقول الوليد بن المغيرة لقومه ، وكانوا بعثوه ليسمع القرآن ، ويقول فيه قالة سوء ، غير أنه انساق مع فطرته ، ونسى كفره لحظة ، وقال : « والله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني : لا برجزه ولا بقصيده ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعملو ولا يعلى عليه ، وإنه ليحطم ماتحته ، ١ .

ومضى القرن الأول ، وتبعه القرن الثاني ، والعلماء يمسون نواحي الإعجاز مساً خفيفاً ، فلما كان القرن الثالث ، واتسعت دوائر البحوث العلمية ، وكثرت الخلافات المذهبية ، وتعددت النحل ، وتفرقت الأهواء والسبل ، احتدمت المعارك ، وقويت الخصومة ، وعنف الجدل ، حول الآراء الكلامية ، وكان إعجاز القرآن أحد الميادين الكثيرة التي تبارت فيها الفجول ، وتصارولت في رحابها الوسيعة القروم ، ونازل عقل عقلاً ، وناضل لسان لساناً ، وظفرت العربية بتراث صالح من القول في القرآن ، وبطائفة من الكتب في الإعجاز .

وليس يعنيني في هذا الحديث أن أسرد الوجوه التي قال بها العلماء في الإعجاز ، وإنما يعنيني أن أرسم صورة مقربة لوجه واحد منها ، كان له أثر كبير في نشأة علوم البلاغة ، وفي تأليف كتبها .

ومنذ بدأت أقرأ في كتب الكلام وأنا أحمل البغض والحققد لهذا المذهب والقائلين به ، وكنت أعجب أشد العجب أن يقول عالم من علماء المسلمين هذه القالة في القرآن الكريم ، وكنت أحسب أن هذه الزلة زلة إبراهيم النظام وحده ، ولكن كان عجبى يزدد : رأيت عالماً آخر يتابع النظام في رأيه ومذهبه ، وعرفت أن الجاحظ والشريف المرتضى من الشيعة ، والقاضي أبا إسحق الإسفرائيني من الأشاعرة ، والإمام محمد بن حزم الظاهري ، عرفت أن هؤلاء على رأي النظام ،

ورأيت هذا العالم الأخير يقول في كتابه (الفصل في الملل والنحل) حين يحكى هذا المذهب : « قالت طوائف ، فالتائلون به — إذن — طوائف ، لا طائفة واحدة ، ولا فرد واحد . وكنت في بادىء الأمر أظن أن أحداً من الأشاعرة لا يقول بهذا المذهب ، وإنما هو رأى اعتزالي ، حتى رأيت في كتاب الشهرستاني (الملل والنحل) هذا النص ، والقرآن عنده — يريد الأشعري — معجز من حيث البلاغة والنظم والفصاحة ، إذ خيّر العرب بين السيف وبين المعارضة فاختروا أشد القسمين اختيار عجز عن المقابلة ، ومن أصحابه من اعتقد أن الإعجاز في القرآن من جهة صرف الدواعي ، وهو المنع من المعتاد ، ومن جهة الإخبار عن الغيب ، . ورحت أبحث عن هذا الأشعري فرأيت في المواقف لبعض الدين الأيحي ، وهو يحكى الأقوال في الإعجاز « وقيل بالصرفة ، فقال الأستاذ والنظام : صرفهم الله مع قدرتهم ، وقال المرتضى : بل سلبهم العلوم التي يحتاج إليها في المعارضة ، ويفسر السيد الشريف الجرجاني كلمة الأستاذ بأنه أبو إسحق الإسفرائيني .

عرفت أن هؤلاء العلماء الأعلام ، وهم لا يحتاجون إلى تعريف ، يقولون بهذا القول ، ثم رأيت المرحوم مصطفى صادق الرافعي يقول في كتابه (إعجاز القرآن) عن هذا المذهب : « وهو عندنا رأى لو قال به صبية المسكاتب ، وكانوا هم الذين افتتحوه وابتدعوه لكان ذلك مذهبا من تخاليطهم في بعض ما يحاولونه إذا عمدوا إلى القول فيما لا يعرفون لبهموا أنهم قد عرفوا ، . وعلى الجملة فإن القول بالصرفة لا يختلف عن قول العرب فيه « إن هو إلا سحر يؤثر ، . وهذا زعم رده الله على أهله وأكذبهم فيه ، وجعل القول به ضربا من العمى : « أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون ، . فاعتبر ذلك بعضه ببعض فهو كالشيء الواحد ، . أقول : قرأت هذا فذكرت ما كنت لقنته من بعض شيوخى في عهد الطلب ، من أن القائلين بهذا المذهب كفار ، لأنهم يجعلون القرآن في مستوى كلام البشر ، ولكنى ذكرت أولئك العلماء القائلين به ، فوجدت المسألة لا تخلو من غرابة .

لذلك رأيت أن أتعرف كيف نشأ هذا المذهب ، وما حقيقته ، وكيف دافع عنه أصحابه ، وكيف فهمه العلماء ، وكيف ردوا عليه وناقشوه ؟ وقد خرجت من هذا البحث مقتنعاً بأن هذا المذهب عليه غبار كثيف ، وأن من الإنصاف أن نعرضه مفصلاً ، لا لدافع عنه ، ولا لنقول إنه المذهب الحق ، ولكن لرفع شيئاً من الظلم عن القائلين به . ولا بادر القارىء فأقول : إنى لا أعتقد هذا مذهباً فى الإعجاز ، ولا أقول إنه الصواب ، وما عداه من المذاهب خطأ ، ولكنى أقول : إنه سيمرى من هذا البحث أن النظام والجاحظ والإسفرائينى والمرتضى وابن حزم كانوا بعيدين عن الكفر كل البعد ، وكانوا بعيدين عن السفه ، وإنما اعتقدوا هذا المذهب تديناً ، ومبالغة منهم فى الابتعاد بالقرآن عن أن يطمع طامع فى معارضته .

كان لهذا المذهب أثره فى نشأة البلاغة العربية ، فظهر القول به والعلماء ينظرون فى القرآن باحثين ومدققين ، يريدون أن يبينوا أسرار إعجازه ، وأن يضعوا أمام الناس دلائل إعجازه ، فكان من ذلك مؤلفات فى الإعجاز لها مكانتها ، وكان من ذلك أقوال مبسطة فى كتب الكلام وكتب التفسير ، وهى ثروة وفيرة ، على أن أصحاب هذا المذهب لم يبق لهم فى الكتب إلا القول به ، أما أدلتهم ، وأما وجهة نظرهم فقلما تعثر على شىء من ذلك . مرّ الجاحظ عليه فى موضع واحد من كتابه الحيوان ، وذكره ابن حزم ، ولعله الوحيد الذى أطل فيه ، أما خصوصهم فلا يخلو كتاب من كتبهم من مناقشة المذهب والرد عليه ، وإنك لتعجب بعد كل هذا من قول الرافعى : « على أن القول بالصرفه هو المذهب الفاشى من لدن قال به النظام ، يصوّبه فيه قوم ، ويشايعه عليه آخرون ، ولولا احتجاج هذا البلغ لصحته ، وقيامه عليه وتقلده أمره ، لكان لنا اليوم كتب ممتعة فى بلاغة القرآن وأسلوبه وإعجازه اللغوى ، وما الى ذلك » . وسنعرض - إن شاء الله - فى مقالاتنا الآتية إلى كل ما أومأنا إليه آنفاً ، والله الموفق للصواب .

الامام البخارى

منزلة السنة من الدين

كيف دوت السنة — نشأة البخارى وسيرته

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمود النواوى
وكيل معهد فؤاد الاول بأسبوط

جدير بالمسلمين أن يذكروا لذلك الإمام الكبير فضله على أمة محمد صلى الله عليه وسلم : فهو كالشمس للدنيا ، وكالعافية للناس . لقد حفظ الله به على الأمة السنة الثابتة الصحيحة ؛ والسنة المحمدية هي الهداية العظمى ، والحكمة البالغة ، والدين الخالص ، والعلم النافع . وقد اعتبرها الأئمة الأعلام المرجع والإمام الذى لا يقبل غيره ، ونوه بها الإمام الشافعى فى قوله :

كل العلوم سوى القرآن معولة إلا الحديث وعلم الفقه فى الدين العلم ما كان فيه قال حدثنا وما سوى ذلك وسواس الشياطين فلم يكن أحد من الأئمة يستطيع أن يتعدى حدودها فى مسألة من الدين حتى يعدم فيها توجيهها . وقد حفظ عن كل إمام من الأربعة أنه كان يقول : إذا صح الحديث فهو مذهبي .

فنزلاتها من الإسلام منزلة الروح من الجسد ؛ لا إسلام لمن لم يعرفها ، ولا دين لمن تنكب عنها . لقد تكفلت ببيان بحمل الكتاب ، وتقييد مطلق منه ، وإحكام متشابه فيه .

وهى التى علمتنا مواقيت الصلوات ، وأعداد الركعات ؛ وكذلك كانت فى كثير من الشعائر .

يقول الله سبحانه ، والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ، . ولكن ما السرقة التي توجب القطع ؟ وكيف يكون ذلك القطع ؟

ويقول سبحانه ، كتب عليكم الصيام ، إلخ الآيات ، ولكن ماذا يفعل من زل بالفطر ؟ وهل له كفارة ؟ وما تلك الكفارة ؟

ذلك وأمثاله بّين واضح في السنة الكريمة ؛ فهي بيان الكتاب وتفسيره . والوحي قسمان : معجز متلو وهو القرآن ، وغير معجز وهو السنة .

وفي صحيح البخارى قال عمر ، لقد خشيت أن يطول بالناس زمان حتى يقول قائل : لانجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ؛ ألا وإن الرجم على من زنا وقد أحصن إذا قامت البينة ، . وفي مسند أحمد ، يوشك أحدكم أن يكذبني وهو متكئ على أريكته يحدث بحديثي فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله . ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله ، .

لا جرم أن تنافس رجال الدين في حفظها والذود عنها ، حتى يبني عليها الدين الخالص ، وحتى يكون بئامن من وعيد الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث المتواتر ، من كذب متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ، .

هذا وقد اعتمد الصحابة رضي الله عنهم في نقل السنة على الحفظ والضبط لوجودتهما إذ ذاك ، ولا سيما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهاهم أن يكتبوا عنه غير القرآن خوف الالتباس بالقرآن على مر الزمن .

ولما اتسع الإسلام ، وتفرق الصحابة وأتباعهم ، ومات الكثير منهم في الفتوحات ، وقل الضبط ، وكاد الباطل يتلبس بالحق في عدة عوامل مختلفة - احتيج إلى تدوين الحديث ، وابتدأ التصنيف ، فكان عمر بن عبد العزيز الإمام العادل أول من أمر بتدوينه .

وفي مقدمة الفتح لابن حجر : إن أول من جمع في ذلك الربيع بن صبيح وسعد بن أبي عروبة وغيرهما ، يصنفون في كل باب على حدة ، فلما انتهى الأمر إلى كبار الطبقة الثالثة ، صنف مالك الموطأ بالمدينة ، وألف ابن جريج بمكة ،

والأوزاعي بالشام . ثم تلاهم كثير من الأئمة كل بحسب ما منحه له ، فمنهم من رتب على المسانيد كأحمد وابن راهويه ، ومنهم من رتب على العلل ، ومنهم من رتب على الأبواب الفقهية ، وهؤلاء منهم من تقيد بالصحيح كالشيخين البخارى ومسلم ، ومنهم من لم يتقيد كباقي أصحاب السنن . فالبخارى أول من صنف في الصحيح على أبواب الفقه ، وكان معروفاً بالفقه في الدين وقوة الاستنتاج ، كما تشهد بذلك عناوينه الدقيقة في كتابه الجامع الصحيح .

نشأ البخارى وقد تمهد سبيل الرواية ، فدقق في بعض الاشتراط بما لم يكن لغيره ؛ ولذلك كان جامع هذا أصح الكتب بعد كتاب الله ، وتلقته الأمة بالقبول ، حتى وصف بأنه متواتر معنى .

ونشأ البخارى في عهد قامت فيه الحركة العلمية على ساقها ، ونقفت سوقها ، وتنافس الرجال على التجارة فيها على اختلاف نزعاتهم وتنوع أصنافها ، فشهد حيناً من أخريات عهد المأمون الذهبي صيباً ، إذ كانت ولادته يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة ١٩٤ ، ولا بد أن الوسط ظل متأثراً بتلك الروح العظيمة المأمونية حيناً من الدهر في عهد المعتصم الذي بدأ البخارى يطلب فيه العلم ، وقد تغلغل في نفسه حب العلم الديني بالوراثه عن أبيه الصالح التقي اسماعيل بن ابراهيم ، الذي روى عن حماد ومالك ، وصحب ابن المبارك ، والذي روى عنه العراقيون ، وكانت له سمعة طيبة كريمة في الورع والزهادة ، وكان البخارى من آيات الله في ذكائه ، وحفظه وتحريه وشدة حرصه ، وتقلله من الدنيا ومن الإصابة منها والتنافس على جمعها ، يحسدوه توفيق وتيسير عجيب ، فضلاً من الله الذي رد عليه بصره ليحفظ به سنة نبيه .

حدث البغدادي الخطيب بسنده الى السجاد قال : سمعت شيخى يقول : ذهبت عينا محمد بن اسماعيل في صغره ، فرأت والدته في المنام ابراهيم الخليل عليه السلام يقول : يا هذه قد رد الله على ابنك بصره لكثرة بكائك أو لكثرة دعائك ... فأصبح وقد رد الله بصره !

وأظن أن في الطب الآن متسعاً مثل هذا الذي كان يعد من الخرافات . على أن في قدرة الله ما لا يعلم الناس ولا يحسبون .

وقد حدث البخارى عن نفسه ببعض قصة حياته ، وقد سأله محمد بن أبى حاتم : كيف كان بدء أمرك ؟ قال : ألهمت حفظ الحديث وأنا فى المكتب ، قال : وكم أتى عليك إذ ذاك ؟ قال عشر سنين أو أقل ، ثم خرجت من المكتب بعد العشر فجعلت أختلف الى الداخلى وغيره ، وقد جرى بينى وبين الداخلى أنه قال يوما فيما كان يقرأ للناس : سفيان عن أبى الزبير عن ابراهيم ، فقلت يا أبا فلان إن أبا الزبير لم يرو عن ابراهيم ، فانتهرنى ، فقلت : ارجع الى الاصل إن كان عندك ، فدخل فنظر فيه ثم خرج وقال لى : كيف هو يا غلام ؟ فقلت هو الزبير عن عدى ابن ابراهيم ، فأخذ القلم منى فأحكم كتابه . فقال له بعض أصحابه : ابن كم كنت ؟ قال ابن إحدى عشرة سنة ، فلما طعنت فى ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع وعرفت كلام هؤلاء ، ثم خرجت أمى بى وبأخى أحمد الى مكة ، فلما حججت رجع أخى بها وتخلفت فى طلب الحديث ، فلما طعنت فى ثمان عشرة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاولهم ، وصنفت كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فى الليالى المقمرة ، وقال : قل اسم فى التاريخ إلا وله عندى قصة إلا أنى كرهت التطويل .

ويظهر أن هذا الكتاب كان من آيات غزارة علم الرجل وسعة اطلاعه إلى حد جعل الناس تفتن به حتى فى وضعه وجعل البخارى يعجب به ، فهو يقول : لو نشر بعض أستاذى هؤلاء لم يفهموا كيف صنف كتاب التاريخ ولا عرفوه ؛ صنفته ثلاث مرات .

وقد حدث البخارى أن شيخه ابن راهويه دخل بالمكتاب على عبد الله بن طاهر ، فقال : أيها الأمير ألا أريك سحرا ؟ فنظر فيه عبد الله بن طاهر فتعجب منه وقال : لا أفهم تصنيفه ! . وقال العباس بن سعيد : لو أن رجلا كتب ثلاثين ألف حديث لما استغنى عن تاريخ البخارى .

وأما جمعه لهذا الجامع الصحيح فيرجع إلى ما حدث به عن نفسه ، قال : كنت عند إسحاق بن راهويه فقال لنا بعض أصحابنا : لو جمعتم كتابا مختصرا لسنن النبى صلى الله عليه وسلم ! . فوقع ذلك فى قلبى ، فأخذت أجمع هذا الكتاب وجمعته من ستمائة ألف . والله هذا الإمام الحافظ الخطير ! ما كان أصفى نفسه وأقدره على

الجمع والحفظ والفقہ ، ونخل النصيحة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم .! وحدث البخارى وهو الثقة الثبت أنه ما أدخل فى كتابه إلا ما صح ، وترك من الصحاح خوف الإطالة ، وأنه ما وضع فى هذا الصحيح حديثا إلا اغتسل قبل ذلك وصلى ركعتين ... والحديث عن هذا الجامع يطول .

وكذلك الحديث عما كان من امتحانات البخارى وتجمهر كثير من البلاد لتحديه فى الحفظ والضبط ؛ فذلك أمر قد يدخل فيما يقرب من الإعجاز . ومن شاء علم ذلك فليرجع إلى مقدمة الفتح وإلى تاريخ بغداد وغيرهما . وهنا نشير إلى أن للبخارى عدا الكتابين العظيمين كتبنا أخرى ، كالآداب المفرد ، وبر الوالدين ، وخلق الأفعال ، والضعفاء ، والمسند الكبير ، والتفسير الكبير ، وكتاب الفوائد .

ثم نعود بك إلى بعض صفاته العظيمة التى فتحت له ذلك الفتح المبين ، وجعلته فى ذلك الوضع النادر .

فقد قالوا : إنه كان غاية فى السخاء وبذل الدنيا ، وكان آية فى عفة اللسان ونزاهة القول ، حتى إنه قال يوما : أرجو أن أثنى الله ولا يحاسبنى أنى اغتبت أحدا . فقال له بعض الشهود : إنك جرحت بعض الرواة ، فقال : ذلك رواية ولم نقله من عند أنفسنا وقد قال صلى الله عليه وسلم : بمس أخو العشير .

على أنه قد كان من دأبه أن يقول فى الساقط والمتروك : فيه نظر أو سكتوا عنه . وكان البخارى صبورا غفورا ، حتى إن الجارية أراقت حبره يوما فلما سألها قالت : إنه فى طريقى فقال : أنت حرة لوجه الله ! .

فأما أحاديث المنسك والعبادة والاستهتار فى ذكر الله وتلاوة القرآن ، فقد كان فى ذلك كله المثل الأعلى للمؤمن الناسك القانت الخاشع : صلى الظهر يوما فى بستان مع جماعة من أصحابه ثم قام إلى التطوع فأطال القيام ، فلما فرغ من صلاته رفع ذيل قميصه فاذا زنبور قد أثر فى سمة عشر موضعا حتى تورم جسده ، فلما سئل فى إطالته ، قال كنت فى سورة فأحببت أن أتمها . وهنا أترك للقارىء الكريم التعليق على هذا الحادث الجسيم ، وكيف أن ذلك الإمام الذكى كان يؤثر الروح

ولذتها ، ويقدر الكتاب الكريم ويقدر آياته . وقد كان في شهر رمضان يعني بالقرآن هناية خاصة مع تسميره في عبادة الله ، فكان يجمع أصحابه منذ أول ليلة منه فيصلون بهم ويقرأ في كل ركعة عشرين آية ، وكذلك الى أن يختم القرآن . وكان يقرأ في السحر ما بين نصف القرآن وثلاثة ، فيختم عند السحر في كل ثلاث ليال ، وكان يختم في كل يوم ختمة عند الإفطار ويقول : عند كل ختم دعوة مستجابة . على أن البخارى كان يتعهد العمل في ليله مع ذلك القنوت والتهجد اللذين علمت من خبرهما ، وقد حفظ عنه ذلك وعرفه أصحابه في السفر .

قال أبو الوراق : كان أبو عبد الله (البخارى) إذا كنت معه في سفر يجمعنا في بيت واحد أحيانا فيقوم في ليلة خمس عشرة مرة الى عشرين ، في كل ذلك يأخذ القداحة ثم يورى ثم يخرج أحاديث فيعلم عليها . وكان يصلى في السفر ثلاث عشرة ركعة .

فهذا شأن من شغله التفكير في العلم وتصحيح النقل والأمانة في الرواية عن نوم الغافلين السكالي ، فهذا نوم الإغفاء والتفكير لا نوم الإغماء والشخير . وكذلك النفوس الكبيرة :

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

ونقل ما يشبه ذلك تلميذه الفريرى ، ولم يكن ذلك في السفر ، قال : كنت عند محمد بن اسماعيل بمنزله ذات ليلة ، فأحصيت أنه قام وأسرج يستذكر أشياء ثمانى عشرة مرة . فليس كثيرا على مثله أن يصنف هذا الجامع الصحيح في ست عشرة سنة ، لأنه المتحرى المحتاط الذى استطاع أن يخرج من ستمائة ألف حديث هذا الجواهر الثمين والكنز العظيم الذى جعله حجة بين الله وبين عباده . نفع الله الأمة بإخلاصه وبجامعه الصحيح .

فأما الخوض في طريقة تصنيفه ، ودقة استنتاجه ، وقوة نظره ، وعلو كعبه ، وبعده مراميه في فهم السنة والتفريح منها ، فلذلك مجال غير هذا ، وإنما قصدت توجيه الأنظار الى ذلك الذخر العظيم ، وتلك النفحات الربانية الكريمة . وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

حرية الرأي

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ إبراهيم على أبو الخشب
المدرس بكلية الشريعة

أما أن الحرية هي الحياة ، أو هي أقصى ما يتشهى الأحياء أن ينالوه ، فذلك مما لا شك فيه . ولهذا نجد الأفراد والجماعات يبذلون ما يملكون ، وينفقون أئمن ما يفتنون ، للحصول على هذه الغاية ، والوصول إلى تلك الثمرة ، فإن انتهوا إليها حمدوا الشئرى ، وشكروا للمقادير ما أناحت ، ولل قضاء ما وهب . وإن رجعوا من المسعى بالخيبة ، ومن الدأب بالإخفاق ، سخطوا على الزمان والمكان ، وبرموا بالكون وما فيه من باغم وناغم ، وصادح وناخ ، وصار الفضاء على سعته في نظرهم أضيق من حباله الصياد ، وأظلم من حلك الغراب ، واعتبروا أن العيش الذى يعيشونه على هذا النمط خير منه قاع جهنم ، حيث النار ذات اللهب ، والحجارة والخطب ، والدخان الذى يكبت الانفاس ، ويؤلم الإحساس . . .

وربما كانت عبودية الأجسام على خطر شأنها ، وعظم قدرها ، وإن كانت سجننا مرذولا ، وحداً من النشاط ممقوتا ، ليست شيئا مذكورا إلى جانب عبودية الرأي والحظر عليه ، وإقامة الأسوار والأشواك في وجه صاحبه .

والرجل ذو الهمة الآبية ، والنفس العالية ، والطموح البعيد ، قد يقبل أن يطوّح به في المنفى ، وأن يُزَجَّج به في الدرك الأسفل من الكهوف والمغارات ، وأن يرمى به في المفازات والادغال مع الوحوش والهوام ، ثم لا يقبل أن يحال بينه وبين الرأي الصريح ، والمنزع الصحيح ، والعقيدة التى يذعن لها قلبه ، ويطمئن إليها وجدانه ، ولو أكره على خلاف ما يرى ، أو حمل على ما يتنافى مع هواجس نفسه ، وهوائف حسه ، لم يسمعه إلا أن يدعو بدعوة يوسف عليه السلام ، حينما اضطربت به المسالك ، وضافت عليه المآزق : « رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه ، .

ولا يكون الحجر على الآراء ، والحيلولة دون الأفكار ، ومحاربة العقول ، وإطفاء مصابيح النظر الصحيح ، إلا حين تكون طفولة الأمم ، وتخبطها في ظلمات الجهالة ، وغيابات الحيرة والعمى ، ولا يمكن أن يكون حينئذ نهوض ولا رقي ، وبقطة أو تقدم ، وإنتاج نافع ، أو إصلاح مرموق ، وإنما يكون الفناء والهدم ، والتدمير والتأخر ...

ولذا رأينا الإسلام يشيد هذه الحرية ، ويقدها ، ويعمل من قدرها الى درجة ليس بعدها ؛ ويعنى على من يهمل بصره ، ويُعَسِّطِل حواسه ، ولا يستفيد من تلك المواهب التي خلقها الله له ، ليستخدمها وينتفع بها ، ويرى فيمن يتهجون ذلك النهج ، ويعيشون بهذا الأسلوب ، أنهم كالأنعام بل هم أضل .. ولم تقم دعوته على العنف ، أو تستعن بالقوة ، أو تلجئ الى السيف والإرهاب ، وإنما تركت للناس حرية النظر والتفكير ، والتروى المشوب بالبحث والمقارنة ، والترجيح والتفضيل ، لتتركز العقيدة ، ويكون الدين خاليا من اللجاجة والشك ، والاضطراب والتردد ، وهو لهذا يذكر الحكم مقترنا بعلمته ، والقضية مصحوبة بدليلها ؛ والشواهد لذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصى أو تستقصى ...

وليس أسرح في حرية الاختيار ، وأبلغ في اعتبار إذعان القلب ، وميل الوجدان ، من تلك الصورة الرائعة التي تمثلها الآية « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » فإنها تضرب الرقم القياسي — كما يقولون — للديموقراطية العسكرية في أجلى مظاهرها ، وأحسن صورها ... ولو أن دولة من الدول ، أو جماعة من الجماعات ، وضعت يدها على من يحاربها في رأى ، أو يناقضها في عقيدة ، أو يخالفها في مبدأ ، وكان منها إليه ذلك الصنيع ، دون أن تجعل الظفر به مدعاة الامتنان ، أو وسيلة النيل منه ، لقام لها التاريخ وقعد ، وطاولت بعنقها السماء كبيرا وخيلاء ...

وحسب المتحدث عن « حرية الرأى » في الإسلام ما يقرؤه في الكتاب الكريم من الآيات الداعية الى النظر ... وأن من منابع التشريع فيه الاجتهاد حتى حين كان ينزل الوحي ، وأن اختلاف الصحابة كان مع وجود النبي

صلى الله عليه وسلم ، وأن عمر كان إذا لم يطمئن الى الحكم راجع فيه الرسول ، وأبى أن يتلقنه من أول الأمر ، إلا أن ينقدح في نفسه ، أو يتجلى لعينه ... وأظن أن تباين القضايا عند الأئمة وتضارب الفهوم في المسائل ، برهان لاشك فيه ، ودليل لا شبهة معه ، على أن الرأي مقدس ، والنظر معتبر ...

ومن المسلم به أن الإنسان إذا عبد الله سبحانه وتعالى بما رجع دليله لديه كان من الناجين من عذابه ، البعيدين عن سخطه ، ولو كان ذلك الذي رجع لديه خطأ في الواقع ...

إلا أن حرية الرأي هذه لا يقبلها الدين ، قضية مسلمة ، بل يراها أقرب الأشياء شها بما يسمونه السلاح ذا الحدين ، فالحرية للمسلمين مكفولة ، والرأي له قداسه واحترامه ، ما دام ذلك كله لا يصل بصاحب النظر الى تقيض ما أجمعوا عليه في أصل من الأصول ، أو ما دام غير متعارض مع نص ظاهر الدلالة ... ولذلك كان المأثور عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أنهما إذا اشتبه عليهما أمر الكتاب والسنة ، وخفى عليهما أخذ الحكم منهما ، لم يريا الرأي من تلقاء أنفسهما ، ولكن يجمع أحدهما أهل الذكر ، فإن أجمعوا على حكم أخذ به ، وحل الناس عليه ، وفي ذلك بُعد عن الهوى ، ومجانبة لمظنة التَّحْيِيف ، خصوصا إذا كانت الفتنة ، أو شاعت الضلالة ، أو شك المعاصرون في نزاهة المفتي ، وبراءته من الغرض ...

ولأن علم المنطق من العلوم التي تنسب ملكة الرأي ، وتشجع على حرية النظر ، كان بعض العلماء لا يقول بجواز الاشتغال به ، ولا سيما إذا لم يكن عند المرء حصانة من الدين ، ومناعة من العقيدة الصحيحة . وقد رأينا صواب ذلك الرأي حينما شاهدنا أولئك الذين لم يأخذوا بقسط من الهداية السليمة يتخبطون في النظر ، ويزيغون في الفكر ، ويسرون كما تسير العشواء ، وجعلوا من معارفهم التي درسوها معاول يهدمون بها ما أجمع المسلمون عليه . وهم وإن كانوا كمناطح صخرة يوما ليوهنها ، إلا أنهم يستمسون عقول الناشئين ، ويصيبون أحلام المبتدئين ... والشباب في جيلنا الذي نعيش فيه يغره البريق ، ويخمدعه الهرج ، وتسويه مظاهر الأشياء ، لذلك

يجب من الكلمات ما كان فيه « تجديد ، أو دعوة الى حرية ، أو اشتغال على مذهب مستحدث ، أو رأى غريب ... وعذرهم في ذلك كله واحد من أمرين : قلة محصولهم العلمى ، وكثرة الدوى الذى يطن فى آذانهم من الصحافة المستهتره ، والكتاب المائعين ، وساعد على هذا وهذا تحلل عام ، وتفكك شامل ، وانحدار خلق طاح بالأخضر واليابس ، الى حد أن صارت كلمة الجمود أو التأخر أقرب ما ينال النصف من الداعين ، والمعتدل من الهداة المرشدين » وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة ، ...

وإذا كان من أدب القرآن الذى أدب به أهله إذا اشتبهت عليهم معالم الطريق أن يسترشدوا بمن يعرف مسالكه ، ويدرى مهالكه ، وأن يشاوروا من يتبصر النور ، حين لاتبين الأمور ... فإن من أدب أولئك الأغرار قوله ابن أبى ربيعة : إنما العاجز من لا يستبد ، عصمنا الله من اللجاجة ، وحفظنا من الهوى ، وجعلنا من الداعين إليه ، الذائدين عن دينه ، المتمسكين بيقينه ؟

مركز تحقيق كاميون علوم إسلامي

مخاطرات

قام رجل إلى عمرو بن العاص وإلى مصر وهو يخطب يوم الجمعة ، وقال له : يا أيها الأمير من أمك ؟ فأجابه عمرو قائلاً : هى النابغة بنت عبد الله أصابته رماح العرب ، فبيعت بمكاظ ، فاشتراها عبد الله بن جدعان للعاص بن وائل ، فولدت فأنجبت ! فان كانوا جعلوا لك شيئاً فخذة ! .

وقام رجل إلى هرون الرشيد وهو يخطب بمكة فقال : كبير مقتناً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ، فأمر به فضرب مائة صوت : فبات هذا الرجل يئن الليل كله من ألم الضرب وهو يقول : الموت الموت ! . فأخبر بذلك أمير المؤمنين هرون وقيل له إنه رجل صالح . فأرسل اليه يعتذر اليه ويستحله ، فأحله .

من طرائف القرآن الكريم

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ عبد الغنى عوض الراجحي
مبعوث الازهر الى كلية المقاصد الإسلامية بصيدا — لبنان

الألفاظ أوعية المعاني، ولكل معنى لفظ يدل عليه ويعبر عن طريقته الى الذهن. والألفاظ بما تحمل من المعاني ثروة بين الجميع على سواء، لا يعنى لتكلم معنى من المعاني يريد التعبير عنه إلا وفي ألفاظ اللغة ما يسعفه. وقد كان ذلك مدعاة أن لا يفضل كلام كلاماً أن لو كان الأمر في الألفاظ المجتمعة كمثلها في الألفاظ المفردة؛ لكن لما كان اجتماع الألفاظ مجالا لخصائص وزيادات تحدث في أصول المعاني، كان تفاضل الكلام بحسب تفاوته في اشتماله على هذه الخصائص والزيادات، فلا يزال الكلام يترقى بها الى أن يبلغ حد الإعجاز أو ما يقرب منه، ولا يزال يسفل بفقدائها الى أن يلتحق بأصوات العجهاوات عند البلغاء، وإن كان صحيح الإعراب عند النحاة.

لم يقتصر القرآن في حلاوته وطلاوته وبلوغه درجة الإعجاز على أدائه المعاني مشتملة على أعلى هذه الوجوه والخصائص التي بها يطابق الكلام مقتضى الحال؛ بل إنه أتى في هذا الباب بشيء عجيب طريف لا يتأتى في غيره إلا متابعة له أو اقتباساً منه: تمكين المعنى بوضع الجملة وحسن الكلمة وهيئة التراكيب وأجراسها الصوتية، وفواصل الآيات ومقاطعها، حتى ليتناسب التعبير مع المعبر عنه، وتساعد الجمل والكلمات بوضعها وكيقياتها على تصوير المعاني وتجسيمها.

انظر مثلاً الى قوله تعالى في سورة الرحمن: أن لا تطفوا في الميزان، وأقيموا الوزن بالقسط، ولا تخسروا الميزان، الطغيان في الميزان: الزيادة فيه، والإخسار له:

النقص منه ؛ وبين الزيادة والنقص طريقة وسطى هى إقامته بالقسط . الجملة الأولى نهى عن الطغيان ، والجملة الثالثة نهى عن الإخسار ، والجملة الوسطى أمر بالقسط ، وفى مجيئها وسطى فى الوضع مع أمرها بالطريقة الوسطى موافقة الوضع للمعنى ، ومحاذاة فى صورة التعبير لصورة المعبر عنه .

وقريب منه ما فى سورة هود من قول شعيب لقومه : ولا تنقصوا المكيال والميزان ، إني أراكم بخير ، وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط . ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، حيث وقعت جملة الأمر بالقسط والمكيال والميزان وسطى بين جملة النهى عن النقص .

وانظر مثلاً آخر قول الله سبحانه فى سورة الشورى : يخلق ما يشاء ، ويب لمن يشاء إناثاً ، ويب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكراً وإناثاً ، ويجعل من يشاء عقيم ، كيف جاء لفظ الإناث والذكور على التنكير فى سائر الألفاظ إلا فى موضع واحد وقع فيه تعريف الذكور بأل . قد يقال إنها الفاصلة . نعم ووراء الفاصلة سر آخر : حجر الأساس ، وجيب الزاوية فى هذا الوجود ، هم الذكور : الرسالات ، الملك ، العلم ، قيادة القافلة الإنسانية ؛ يدور الأمر فى ذلك كله على كاهل الذكور . خلق الله آدم قبل حواء ، الرجال قوامون على النساء ، للذكر فى الميراث مثل حظ الأنثيين . لا بدع بعد ذلك أن يكون الذكور أعرف من الإناث ، وأن يكون تعريف هذا اللفظ خاصة للإشارة الى ما ذكر من متعلقات مدلوله .

وانظر مثلاً آخر قول الله تعالى فى سورة الأنعام الآية ٩٩ : والزيتون والرمان مشبهان وغير متشابه ، مع قوله تعالى فى السورة نفسها الآية ١٤١ : والزيتون والرمان متشابهان وغير متشابه ، فى هاتين الآيتين دلالة على أن الزيتون والرمان متشابه وغير متشابه ؛ متشابه فى اللون والحجم ، غير متشابه فى المذاق والطعم ، أو ما شئت قل فى مناط التشابه وعدمه ؛ فالتركيبان فى الآيتين لمعنى واحد ، وألفاظهما واحدة ، إلا ما كان فى الآية الأولى من الاشتباه بدل التشابه ؛ والاشتباه غير التشابه فى اللفظ ونظام الحروف ، لكنه عينه فى الأصل والمعنى ، بدليل المقابلة بينهما ، وهذه المغايرة اللفظية أوجدت شبهة بين اللفظين

في تركيب واحد ، وشبها بين التركيبين في الآيتين لمعنى واحد ، فكانت الكلمات الدالة على تشابه الزيتون والرمان نفسها متشابهة ، فكان ذلك من تصوير التعبير بصورة المعبر عنه ، ومحاذاة الصورة اللفظية للصورة الممنوية حذوك الشيء بالشيء .

وانظر مثلاً آخر الى الكلمات الاربعة ، اثاقلتم ، في قوله تعالى في سورة التوبة : يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ، ، ، ، أنزل مكموها ، في قوله تعالى في سورة هود : يا قوم أرايتم إن كنت على يدة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنزل مكموها وأنتم لها كارهون ، ، ، ، يصطرخون ، في قوله تعالى في سورة فاطر في أهل جهنم ، وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل ، ، ، ، مصيطن ، في قوله تعالى في سورة الغاشية : فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمصيطر ، .

كيف أن اللفظة الأولى بما فيها من إدغام وإبدال واجتلاب همز الوصل للنطق بالساكن وثقلها في النطق بعد ذلك كله — كانت خير تصوير لهذا الثقل المراد تصويره : ثقل البطيء الذي لا يخف لما يؤمر به ، هذا التصوير الذي لم يكن ليكون أن لو كان التعبير بقوله : اثاقلتم ؟ ، يوم ربي

وكيف أن الثانية بكثرة حركة الضمة فيها — وهي أثقل الحركات — وتكرر بعض حروفها ، كانت خير تصوير لما يكون من الثقل على الملزم بشيء هو له كاره لا تستجيب له نفسه ولا تخف : هذا التصوير الذي لم يكن ليكون أن لو كان التعبير بقوله : أنزل مكم إياها (١) ؟ .

وكيف أن الثالثة بغلظ جرسها وقوة منطقتها وحروفها ، تصور قوة الصراخ المنبعث من جوف جهنم وأهلها هولاً وفزعاً : هذا التصوير الذي لم يكن ليكون أن لو كان التعبير بقوله : يصرخون ؟ .

وكيف أن الرابعة تصور بقوة جرسها وحروفها ، هيمنة المسيطر على المسيطر عليه : هذا التصوير الذي أعان عليه إبدال السين صاداً ، والصاد أقوى من السين . وانظر مثلاً قوله تعالى في سورة النجم : ألكم الذكر وله الأنثى ؟ تلك إذن

(١) الفصل والوصل في هذا الضمير جائزان على سواء - ابن عقيل .

قسمة ضيزى ، فإن الكلمة الأخيرة فى أصلها غريبة ثقيلة على اللسان ، لكن مجيئها هذا المجيئ جعلها من الروعة والرواق فى الذروة والسنام ، حيث كانت غرابتها أشد الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التى أنكرت ، وكانت الجملة كلها كأنها تصور فى هيئة النطق بها الإنكار فى الأولى والتهكم فى الثانية ، وكان هذا التصوير أبلغ البلاغة وخاصة فى اللفظة الغريبة التى تمكنت فى موضعها من الفاصلة ، ووصفت حالة المتهم فى إنكاره من إمالة اليد والرأس بهذين المدين فيها إلى أسفل وإلى أعلى ، وجمعت إلى كل ذلك غرابة الإنكار بغرابتها اللفظية (١) .

ومثله قوله تعالى فى سورة آل عمران ، فيها رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، ، فإن النجاة يقولون إن ، ما ، زائدة أى فى الإعراب ، فيظن من لا يصر له أنها كذلك فى النظم مع أن فى هذه الزيادة لوناً من التصوير لو هو حذف من الكلام لذهب بكثير من حسنه وروعته ، فإن المراد بالآية تصوير لين النبي صلى الله عليه وسلم لقومه ، وأن ذلك رحمة من الله ، فجاء هذا المد فى ، ما ، وضعاً لفظياً يؤكد معنى اللين ويفخمه ، وفوق ذلك فإن لهجة النطق به تشعر بانعطاف وعناية لا يبتدأ هذا المعنى بأحسن منها فى بلاغة السياق ، ثم كان الفصل بين الباء الجارة ومجرورها وهو لفظ برحمة عما يلفت النظر إلى تدبر المعنى ، وينبه الفكر على قيمة الرحمة فيه ، وذلك كله طبيعى فى بلاغة الآية كما ترى ، (٢) .

وانظر مثلاً آخر الى القرآن كله نظرة إجمالية تتفحص فيها مدنيه تارة ومكيه أخرى ، فإنك واجد أن لكل قبيل فى أغلب أمره مسحة تغلب عليه ، وظاهرة تنتظمه ؛ فالمدنى طويل السور ، طويل الآيات ، هادى الأسلوب ، رقيق العبارات ، لين الفواصل والمقاطع ، وذلك أنسب شئ بما يتضمنه من الأحكام الشرعية ، والقوانين الفقهية والجدالات العلمية مع أهل الكتاب . . . والمكى قصير السور ، قصير الآيات ، عنيف الأسلوب ، قوى الفواصل والمقاطع ، ألفاظه شديدة الجرس ، صاخب يدوى كأنه موج يهدر أو سيل ينحدر من قم الجبال ، وذلك أنسب شئ بما تضمنه من النذر القارعة ، والزواجر الرادعة ، والمواعظ الجامعة التى يقتضها

(١) راجع كتاب ، التصوير الفنى فى القرآن ، للاديب سيد قطب .

(٢) ما بين القوسين من كلام الرافعى فى كتابه إعجاز القرآن .

حال أهل مكة ، أهل العناد والجحود ، وقسوة القلب وجفاء الطبع . ومن عجب أن اللفظ يكون واحداً في معنى واحد وقصة واحدة ، لكن يرد في سورة البقرة المدنية على جهة التخفيف ، ويرد في سورة طه المكية على جهة التشديد ، فيقول تعالى في السورة الأولى - قصة آدم : « فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، ويقول في السورة الثانية في القصة نفسها « فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى » .

وانظر مثلاً آخر هذه الفواصل القرآنية ^(١) التى تنوعت واختلفت الصنيع فيها بين السورة والأخرى ، وبين آيات السورة الواحدة بعضها وبعض . أما السورة الواحدة ذات الفاصلة الواحدة فإنك تجدتها وفاصلتها بمقطعها وجرسها الصوتي أنسب شئ بمعناها وأسرع خطوراً بالبال إذا ذكرت السورة أو ذكرت بعض آياتها ، حتى لتتعمد في قرارة النفوس المحافظة عملية من التداعى والارتباط بين السورة وفواصلها ، بل بين سائر الآيات والفواصل فيها ، حتى ليكون ذلك كله من عوامل استذكار الحافظ لما يوشك أن ينساه .

هذه سورة الناس تقرؤها فتكاد تصور لك بجرسها وفاصلتها وتكرر حرف السين فيها ، هذه الوسوسة التى سبقت لها السورة : وسوسة الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس .

وهذه سورة القمر تقرؤها فتعطيك بجرسها وفواصلها والتزام حرف الراء الساكنة فيها وتكرر كلمة النذر ما تعطيك بمعانيها من تهديد أهل مكة وإلذارهم وقرع العصا لهم مرات ومرات ^(٢) .

وأما السورة الواحدة ذات الفواصل المتنوعة فى آياتها فغالبا ما يكون هذا التنوع عند تنوع المعانى وانتقال الكلام من غرض الى غرض ومن طريقة الى أخرى ، كأنها يرمز بتغيير الفاصلة الى تغيير ذلك .

(١) الفاصلة كلمة آخر الآية كـ « فافية الشعر وقرينة السجع » . وقال الداني : كلمة آخر الآية . وقال

القاضي : الفواصل حروف متشابهة فى المقاطع يقع بها إلهام المعانى - الاتقان ٢٤ ص ٩٦ ط الحلبي .

(٢) الكوثر ، الاخلاص ، الفيل ، العصر ، الشمس ، القدر ، التين ، الفتح ، محمد ، المرسلات ، الجن ، الانسان ، كلها سور واحدة الفواصل وقريب منها غيرها كثير كالسور : الأحزاب ، الاسراء ، الكهف ، النساء ، الفرقان .

هناك سور بدئت بتقسم ومقسم عليه ، ولا يخفى ما بين القسمين من تنوع غالبا ما تكون الفاصلة في القسم غيرها في المقسم عليه لاسيما إذا كان في القسم طول والسورة أيضا طويلة كما كان عليه الحال في السور : الذاريات ، الطور ، الصافات ، المرسلات ، النازعات ، العاديات .

أما إذا كان في القسم قصر أو كانت السورة قصيرة ، فغالبا ما تكون الفاصلة في القسم والمقسم عليه واحدة كما كان عليه الحال في السور ، النجم ، الضحى . الشمس ، التين ، العصر ، البلد .

وهذه سورة (ص) تستمر فيها الفاصلة على وتيرة متشابهة حتى الآية ٦٧ فتتغير الى وتيرة أخرى تستمر عليها حتى ختام السورة ، وفي هذا القدر الأخير من الآيات يتمحض الحديث عن قصة آدم ، وشيء من التنبيه الى ما في القرآن من حق وعظمة .

وهذه سورة غافر ترى الفاصلة فيها على وتيرة واحدة من الآية ٢٤ الى الآية ٥٥ وترى هذه الآيات خاصة بالحديث عن رسالة موسى الى فرعون وهامان وقارون وما أجابوه به وما آل إليه أمرهم ، وما قبل هذه الآيات وما بعدها من السورة غير متخصص لا في موضوعه ولا في فاصلته .

وهذه سورة نوح التي وإن كانت كلها من قصة نوح إلا أنه من الآية الخامسة فيها الى نهاية السورة خلص الكلام للحكاية رفع نوح الأمر الى ربه يشكو إليه قومه وإصرارهم واستكبارهم ، يدعوهم أن لا يذر على الأرض منهم ديارا ، فكان كاه ذا فاصلة واحدة فيها قوة وشدة جرس مناسبة لحال غضبه على قومه .

وهذه سورة النازعات تراها من الآية ١٥ الى الآية ٢٦ ذات فاصلة تكاد تكون واحدة متميزة عما قبلها وبعدها في نفس السورة ، كتميز الآيات نفسها بتخصيصها للحديث عن موسى وفرعون ، وهناك سور أخرى كثيرة فيما ذكرته هنا مثال لها يحتذى ومنوال ينسج عليه ، وكفى .

بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْفَتْوَى

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتي :

الحب العفيف للزوج

« هل الحب يعد حراما ، الحب الذي يمد لصاحبه الطريق لكي يتزوج في النهاية من التي يريدتها حتى يتم تعليمه مثلا إذا كان طالبا وبعد ذلك يتزوج بمن أراد . وفي أثناء هذا الحب لا يسمح بها يغضب الله : فهل يعتبر هذا الحب حراما ؟

عبد الرحمن طلعت متولى

طالب بمدرسة النهضة الحديثة الثانوية
فافوس - شرقية

الجواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين .

أما بعد : فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن الحب ميل قلبي لا اختيار للمرء فيه ، فلا يتعلق به حكم شرعي بالحل أو الحرمة : وإنما الحكم يتعلق بسببه وبما يترتب عليه من الأعمال الاختيارية ، فإن كان سببه محرما أو ترتب عليه محرم كالخلوة بالمحجوبة قبل الزوج بها ، والسير معها في الطرقات ، والسهر معها في محل السهر ، وما الى ذلك من الأشياء المحظورة شرعا - كان الشخصان آثمين ، يستحقان عقاب الله تعالى . وإن لم يكن سببه كذلك ولم يترتب عليه شيء من ذلك وإنما كان بينهما ارتباط قلبي بقصد الزوج في وقت مخصوص فلا شيء على واحد منهما شرعا . وبذلك علم الجواب . والله أعلم ؟

المسبحة من عظم الفيل

وجاء الى لجنة الفتوى أيضا الاستفتاء الآتي :

نرجو الإفادة عن الحكم الشرعي في المسبحة المصنوعة من عظم الفيل (السن) ، أو من عظم الحيوانات غير مأكولة اللحم ، وذلك من حيث الطهارة والنجاسة ، وهل يؤثر حملها - إن قلنا بنجاستها - في صحة الصلاة ؟ فإن عندنا شخصاً له معرفة يسيرة ببعض المسائل العلمية يقول : إن السن والعظم يطهر بالنار ولا حرج في حمله أثناء الصلاة ، فاعتمدنا قوله أزماناً ، ثم رأينا بعد إبراء للذمة أن نعرف الحكم عن طريق لجنة الفتوى . ونرجو الإجابة على وفق مذهبي الإمامين مالك والشافعي .

كفور بلشاي — عبد الحليم حماد

الجواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين .

أما بعد : فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن مذهب المالكية أن المسبحة المصنوعة من عظم الحيوان الذي يحرم أكله كالبعال - نجسة ، ولو ذكي الحيوان الذي أخذ منه العظم ، لأن الذكاة لا تفيد في محرم الأكل . أما الفيل فيكره أكله ، فإن ذكي لا كل لحمه طهر بالذكاة بجميع أجزائه ومنها العظم . أما إذا ذكي الانتفاع بجلده فلا يظهر لحمه ؛ وإذا يكون عظمه نجساً ، ومتى كانت المسبحة مأخوذة من عظم حيوان محرم الأكل مطلقاً ، أو مكروه الأكل إلا أنه لم يذك ، أو ذكي لأخذ جلده ، فهي نجسة ، والصلاة بها باطلة .

وأما مذهب الشافعي فهو أن المسبحة المأخوذة من عظم الحيوان الذي يحرم أكله سواء ذكي أم لا - نجسة ، ومن هذا الحيوانات المحرم أكلها كالفيل . وإذا فتكون الصلاة بهذه المسبحة باطلة ، ولا يجوز الدخول فيها شرعاً بالمسبحة .

هذا ومذهب الحنفية أن سن الفيل أو عظم الحيوان غير المأكول ما عدا

الخنزير : طاهر ، لأنه لا يحل له الدم . وعلى ذلك فالمسبحة المأخوذة من سن الفيل أو عظم الميتة ، طاهرة ، والصلاة معها صحيحة . والله أعلم ؟

تبنى المسيحي للطفل المسلم

وجاء الى اللجنة أيضا هذا الاستفتاء :

ذات يوم من أيام عام ١٩٢٦ ميلادية وجد رجل مسيحي على غير ملة الإسلام طفلا حديث الولادة أمام باب منزله ، وفي قبضة يد الغلام ورقة صغيرة مكتوب بها أن اسم الطفل محمد جمعه . فتقدم صاحب الدار المسيحي الى قسم البوليس وأخطره عن الحادث ، وأظهر رغبته في تربيته وأنه يود أن يتبناه ، فأرسل قسم البوليس الطفل الى مستشفى القصر العيني الذي قام بتسليم الطفل الى الرجل المسيحي بمقتضى طلب ثابت به أن اسم الطفل محمد جمعه ، ويلاحظ أنه لم يتقدم أى شخص للبحث عن هذا الطفل إطلاقا ، وأصبح مستشفى القصر العيني هو الذى يتولى من قبله السؤال دوريا في فترات منتظمة عن الطفل محمد جمعه . قام الرجل المسيحي بتعميد الغلام بعد بلوغه العام الاول وتنصيره حسب أصول قواعد الديانة المسيحية ، وسماه باسم مسيحي ، كما أنه قام بدفع الكفالة العسكرية لإعفائه في حينها . ولما كان هذا الرجل المسيحي عديم الذرية ، ولم يرزق بأولاد ، ولما كانت جنسيته يونانية ، فإنه تقدم للقنصلية اليونانية بعد بلوغ الغلام خمسة عشر عاما بإقرار يثبت به أنه تبنى هذا الغلام ، وأنه منحه اسم العائلة التى ينسب اليها ، وأنه جرده من الاسم الاصلى وهو محمد جمعه ، وأنه أنحى مسيحي الديانة . ولقد مرت الأعوام وإذا بهذا الرجل المسيحي يتنكر لهذا الغلام .

١ — فهل يعتبر التبنى للرجل المسيحي حسب الوقائع السابقة مع علمه بأن المتبنى له نسباً هو محمد جمعه تبنيًا صحيحاً شرعاً ويقره الإسلام ؟ .

٢ — وهل فى مكينة المتبنى (الرجل المسيحي) أن يحسر عن نسبة هذا الغلام ويرده الى ملة الإسلام ؟

٣ — وهل من الجائز رفع دعوى حاسبة بهذا الصدد ؟ .

٤ — وهل للفقى المتبنى أن يطلب رده للإسلام وخلاصه من التبنى ، سواء تمكن من الاهتمام الى نسبة الاصلى والتحقق منه أم لا ؟ سيد بغدادى المحامى

الجواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

أما بعد : فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن التبني على الوجه المفهوم من السؤال لا يجوز في نظر الإسلام ، ولا تثبت به بنوة الولد المتبنى لمن تبناه ، بل لا يزال هذا الولد أجنبيا منه ليس عليه ما يجب على الولد لأبيه من الحقوق ، وليس له على من تبناه شيء من حقوق الانشاء على الآباء . قال الله تعالى : وما جعل أديعائكم أبناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . أدعواهم آبائهم هو أقسط عند الله ، فإن لم تعلموا آباهم فأخوانكم في الدين ، أى فهم إخوانكم في الدين ، فادعواهم إخوانا ما دام لم يعرف لهم آباء ، والولد في نظر الإسلام مسلم من حيث نشأته ، وعليه أن يتقدم الى المحكمة الشرعية ليسجل إسلامه في سجلاتها حتى لا يكون لمن تبناه سلطان عليه .

ويجب على المسيحي الذي تبناه أن يبين الحقيقة بالنسبة لهذا الولد ، وبخلى سبيله ليسجل إسلامه كما قلنا . وأما رفع قضية حسة في هذا الموضوع فهو أمر يرجع فيه الى نظام القضاء الشرعى . والله أعلم .
رئيس لجنة الفتوى
عبد المجيد سليم

العدل

دخل الزهرى على الوليد بن عبد الملك فقال له : ما حديث يحدثنا به أهل الشام ؟ قال الزهرى : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : يحدثونا أن الله إذا استرعى عبدا رعية كتب له الحسنات ولم يكتب له السيئات .

قال الزهرى : هذا باطل يا أمير المؤمنين ، أنبي خليفة أكرم على الله ، أم خليفة غير نبي ؟ قال : بل خليفة نبي : قال الزهرى : فإن الله يقول لنبيه داود : يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب . فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لنبي خليفة ، فما ظنك بخليفة غير نبي ؟ قال أمير المؤمنين : إن الناس ليغفرونا عن ديننا .

الشعر الوصفي :

أبو تمام يصف

بقلم سيادة الأستاذ اليلعى الجليل ، السيد ،

صدر قصيدة من الشعر الوصفي ، لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي يصف
به الروض ، ثم يمتدح بسائرها الخليفة المعتصم العباسي ، يذكرنا سحر الشاعرية فيه
بطراز الأدب العربي ، في صدق الوصف ، وجدة التشبيه .

بيد أن فتور التلاحم الشعري بين أجزاء القصيدة - إلا في وحدة القصد -
باعد - فيما أحسب - بين الشذوق ، وبعض الطلاوة في الشعر !!!
بدالي من أجل هذا أن أنشر صدر قصيدة أبي تمام هذه ، وأن أخلع عليها
حالة من الكتابة ، تخلع بها حالة النظم ، ليستبين المعنى في دلّ النثر ، أجل منه
في عقد الشعر !!!

قال أبو تمام :

رقت حوامي الدهر فهي تمسّر مر	وغدا الثرى في تحليه يتكسر
نزلت مقدمة الشتاء حميدة	ويد الشتاء جديدة لا تكفر
لولا الذي غرس الشتاء بكفه	قاسى المصيف هشاماً لا تثمر
كم ليلة آسى البلاد بنفسه	فيها ويوم وبلية مشعشجر
مطر يذوب الصحو منه وبعده	صحو يكاد من الغضارة يقطر
غيشان ، فالأنواء غيث ظاهر	لك وجهه والصحو غيث مضر
وندى إذا ذهبت به لم الثرى	خلت السحاب أناه وهو معذر

أربعينا في تسع عشرة حجة حقاً لهلك الربيع المزهر
ما كانت الأيام تسلب بهجة لو أن حسن الروض كان يعمر
أولا ترى الأشياء إن هي غيّرت سمجت وحسن الأرض حين تغير
يا صاحبي تقصيا نظريكم تر يا وجوه الأرض كيف تصور
تر يا نهراً مشمساً قد شابه زهر الربى فكأنما هو مقيم
دنيا معاش للورى حتى إذا حل الربيع فإنما هي منظر !!!
أضحت تصوغ بطونها لظهورها نوراً تكاد له القلوب تنور !!!
من كل زاهرة تفرق بالندى فكأنها عين إليك تنحدر !!!
تبدو ويحجبها الجميم كأنها عذراء تبدو تارة وتخفى !!!
حتى غدت وهداتها ونجادهما فتمين في حلل الربيع تبخر
مصفرة محرة فكأنها عصب تيمن تارة وتمضر
من فاقع غض النبات كأنه دُرّ تشقق قبل ثم ترعفر
أوساطيع في حرة فكأنما يدنو إليه من الهوام معصفر
صنع الذى لولا بدائع لطفه ما عاد أصفر بعد إذ هو أخضر
خلق أطل من الربيع كأنه خلق الإمام وهدية المنتشر

هذا صدر قصيدة أبي تمام ، وقد قلت في حله ما يأتى :

رقت طلاوة الربيع ، ورفئت حواشى الدهر فمى تمرمر : رفاقة ، وألبس
الثرى حليه من الحسن ، فغدا يتكسر في حلية الترف ، أو يرف .

نزلت بواكير المصيف ومقدماته ، فاتنة حميدة ، ويد الشتاء برة بعد غصة ،
فمى تشكر ، ولا تكفر !!!

أجل ! إنه لولا الذى غرسه بكفه الشتاء من الغضارة والنضرة ، لفاى المصيف
من الجذب ، وفرقة الخصب ،
اس ، قلما تثر ، أو تزهر !!!

كم ليلة آسى الشتاء فيها بلاده بنفسه ، وكم يوم تسمحت فيه سماؤه ، بغيث
يتفجر وبله المثلج ، أو يقطر .

مطر سمح ، يذوب الصحو منه ، يعقب بعده صحوً يكاد يقطر نضارة ،
ويعتصر نعمة وترفاً .

هما غيثان : أما الأنواء فهي غيث ظاهر ، يتسم لك ثغره ، وأما الصحو فهو
غيث مضمّر !!!

ذلك الى ندى بليل ، إذا ادهنت به لم الثرى ، خلت السحاب إنما لاقى الثرى
وهو معذّر ، كالمقصر !!!

إليه ربيعنا الغض فى تسع عشرة حجة ، أجل لك للربيع المزهري ، والعهد لا يضر
ما كانت الأيام تسلب بهجة ، أو تشكل فتنة ، لو أن حسن الروض فيها كان
يعمر ، فلا يتغير .

إن الأشياء لنسمع كلها إذا هي تغيرت ، سوى الحسن المحض ، من الأرض
فإنما ينضر حين تغير !!!

أعملا فكريكما يا صاحبي ، وتقصيا نظريكما ، فإنكما سريان وجوه الأرض
كيف تصور ، فتسحر .

نهار مشمس ، ساحر الجلوة ، قد شاب إشراقته الزهر المنور ، فكأنه
ليل مقمر !!!

دنيا أيها الصاحبان معاش للورى ، حتى إذا وفد الربيع الطلق ، فإنما هي
حسن أسفر ، فى منظر !!!

هذه بطون الأرض ، تصوغ لظهورها أزاهير أو نورا ، تشرق له القلوب
حتى تكاد من حلاوة المنظر ، تنور !!!

كل زاهرة باسمه من الشنوار ، ترقق بالندى ، وترف بالنعمة ، فكأنها عين
تغازل عينيك ، وتحسّر إليك !!!

إن الأزاهير ليجلوها الروض آوثة ، ويحجبها الجيم آوثة ، فكأنها حين تظهر
ثم تخفى ، خفرة عذراء تهدو مرة ، وتحجب حرة !!!

لقد غدت وهدات الروض ونجاده فثنتين : تمشى كلتاها في حلال الربيع تسيّاه
مزهوة ، تتعطر ، ثم تنخطر !!!

خمائل تلك من النبات مصفرة بحرة ، كأنها حمل تضر ، وعصب من الوشي
تبعن نارة وتمضر ، أو تمصر .

تلك : أو أصفر فاقع غض النبات ، كأنه درر أشقق ، ثم تزعر ، فتزهر !!!
أو ساطع من الأزاهر في حرة ، كأنما يشى إليه معصر من الهواء ،
أو السماء !!!

صنع الخلاق البديع ، الذي لولا بدائع لطفه مارف الزهر في ثوبه الأصفر ،
بعد إذ هو أخضر !!!
خلق ساحر يُطل علينا من الربيع ، كأنه خاق الخليفة أو محياه الأزهر ،
وهديه المنتشر ؟

الحسد

الحسد : تمنى زوال نعمة المحسود وحصول الحاسد على مثلها . ومن أحسن
ما قيل فيه من الشعر قول الشاعر :
إن يحسدوني فإني غير لأئهم
فدام لي ولهم ما بي وما بهم
وقال شاعر آخر :

اصبر على حسد الحسو د فإن صبرك قاتله
النار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

في ذكرى المولد

الكلمة التي ألقاها فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود جميلة
مميّوث الأزهر إلى العراق ، بقاعة فيصل ، في ذكرى
المولد النبوي ، وأذيعت على الشعب العراقي .

سيدى رسول الله ! سلام عليك يوم ولدت ، و سلام عليك يوم بعثت ،
و سلام عليك يوم مت ، و سلام عليك يوم تبعث حيا .

سلام عليك فى الأولين ، و سلام عليك فى الآخرين ، سلام لا يحده حد ،
ولا تحويه عبارة ، ولا يقيد زمان ، ولا يشمله مكان . . . فلقد كنت يا خير خلق الله
سلاماً على الدنيا حين برغت شمسك على الوجود فأنارت فجاجة ، وأوضحت سبله ،
وذلت مسالكه ، وسهلت أوديته ، وجعلته منة ونعمة ، وعلماً ورشاداً .

ولدت يا رسول الله والعرب أسرى خرافات وعبدة أوهام ، يدينون بالآباطيل ،
ويتعلقون بالثرهات ، ويؤمنون بالخرافات ، ويقيمون فى جملة جهلاء وضلالة عمياء ،
يأكل القوى الضعيف ، ويظلم المبطل الحق ، ويسود المفسد المصلح ، ويتحكم جهل
الجاهلين ، وإسراف المسرفين ؛ لا يعرفون عن الحق إلا ما اتصل بأنفسهم ،
ولا من الإنصاف إلا ما تعلق بذويهم ، غلاظ الأكباد ، غلف القلوب ، كأنما
شقت نفوسهم من الصخور ، أو قُدت من الحديد .

ولدت يا رسول بين قوم الثالث عليهم الأمر ، واشتهت أمامهم الحقائق ،
وأظلمت هم الدنيا ، فلا فضيلة جامعة ، ولا عقيدة موحدة ، ولا غاية مرموقة
يدفعون عنها ويرمون من ورائها إلى مجد يرجى أو عز يراد ؛ وإنما هى عصبية
جامحة يوقظها العناد والمنكارة ، ويغريها الحقد والمهاترة ، ويذكي أوارها ، وينشر

لهيها، تنأصر بالباطل، واعتزاز بالخرافة، وإهدار للعقول، وتجاوز عن المعقول والمقبول . فضياؤك الساطع أنار الأنام، وبدد الظلام، ومحا الوثنية، وبحق الأصنام، وزلزل إيوان كسرى، وقضى على العصية الصماء، ونادى بالسلام، وثبت الفضيلة، وقرر الوحدة، وأقام دعائم الإيمان .

سيدى رسول الله ! لقد نبتت نبتك الطاهرة الزكية المحجوبة عن دنس المدنسين، والمصونة عن رجس الآثمين، منذ أن خلقت وتناقلت الظهور والبطون، إلى أن طلع فجرك الصادق على الوجود، وشع نورك الوضاء على الأصقاع، في أرض قاحلة يعز فيها الإنبات، ويقل فيها النبات، لا ماء يروى، ولا خصب يروى. ولكن نبتك العزيزة على القدر أبت إلا أن تكون خارقة معجزة، فدت عروقتها في الصخور، وأرسلت أفنانها على الرمال المترامية، ثم مدت طولها الباسق وظلها الوارف، ناضرة أريجها الطيب، بأذلة ثمرها الشهي إلى من في الأرض جميعا.

فيا خير نبتة نبتت في الدنيا في أقحل أرض عرفها الإنسان، نريد أن نطوى إليك القرون، ونستوقف من أجلك الفلك، عله يعود بنا رجعة إلى الماضي المجيد والعهد السعيد، فنستلهم المجد من المآجد، والهدى من الهادى، ونغذى النفس بوقفة عزيزة، وسط نشأة مؤمنة، وعمود موقنة، ضربت المثل العليا في الفدائية والإخلاص والعدالة والإنصاف .

سيدى رسول الله ! لقد ولدت في خير أرومة، وانبعثت من أكرم عرق، فكنت خير مولود عرفته الأرض والسموات .

ولدت يتيما، لا ضنا من القدر بوالديك عليك، ولكن لتكون معجزة في طفولتك كما كنت معجزة في ولادتك، فأريتنا في اليتيم عبقرية لم تكن معروفة في اليتامى، واليتيم مضيفة منبهة، فلما وجدت يتيما، لم تقهر يتيما، وجاءت شريعتك معظمة لشئون اليتامى، منظمة لحقوقهم .

غذيت بلبن حليلة وثوية، ونشأت في بنى سعد، وأدركتك العناية وأظفارك ناعمة، وعودك لدن طرى، فأزالت حظ الشيطان من نفسك، وأبدلتك به رافة ورحمة، فبقيت للمؤمنين رهوفا رحيا، فلما ترعرع عودك الذكى، وترعرعت معه

فضائلك : فضائلك النقية الطاهرة ، واشتد ساعدك ، واشتدت معه كلالتك
وكراماتك ، كنت ديناً قبل أن يرسلك الله بالدين ، وكنت عقيدة قبل أن تأمر
الناس بالعقيدة .

لقد جفتك الهنات ، وجانبك الهيئات ، فلم تسق نفسك إلى متابعة ما أحاط
بالقوم من وزر وما حل بهم من عوج ، لم تقترف ما اقترفه الناس حولك ، ولم تغمس
يدك في مآثم الجاهلية ، والجاهلية أجل ما فيها مآثم ، فلم تشرب خمرأ ، ولم تعبد صنماً ،
صيانة لعقلك ، وحفظاً لنفسك ، وتحقيقاً لإنسانيتك ، وتحقيقاً لشأن المقترفين
والمتابعين ، وشعوراً بما ينتظرك من مهام ، وما يترقبك من إصلاح ، فسفدت
أحلام قومك بفعلك قبل قولك ، ونشرت الحق بصمتك قبل نطقك ، فأرغمت
الجميع على تقديرك ، فأمنوا بنبلك ، وأيقنوا بصدقك ، وأجمعوا على أمانتك ، فأنت
بينهم الصادق الأمين .

هذا بيت الله المحجوج تداعت أركانه ، وتصدع بنيانه ، من تطاول الأيام ، وبعد
العمود ، لامن الفيل وأصحابه ، فقد جعل الله كيدهم في تضليل ، والبيت رمز العزة
العربية ، والمجد القرشي ، فتزاحمت البطون لرفع قواعده ، وإقامة بنيانه ورتق صدعه ،
يريد كل قبيل أن يمد في مجده ، وأن يتزع لعزته ، وأن ينال شرف الدنيا في هذا
الموقف الجليل . ثم ها هو ذا الحجر الأسود كريم أحجار الأرض على الله ،
ترنو إليه الانظار ، وتقف عنده الاطماع ، ويطلب كل فريق أن يكون له
شرف حمله ومجد وضعه ، وتزاحمت البطون واشتعلت نار التنافس ، وتولاها هوا
العصبية ، وكادت تقع الملاحم المهلكة والحروب المفضية الفاطمة ، لولا أن ساق القدر
محمد بن عبد الله الى القوم ، فوضعوا قضيتهم في يده ، وانتظروا منه عدلاً وإنصافاً ،
فهو بينهم الفيصل الذي لا يرتاب في نزاهته وطهره .

حسم محمد الأمر ، ووزع الشرف بين البطون ، ومكن جميع القبائل من
حمله ، فانتصت أفراح القوم ، وانتشعت عنهم غمة الفرقة والنزاع بحسن توجيهه
ويمن تصريفه .

سيدى رسول الله ! لقد كنت مثلاً من أمثلة الخير ، وصورة من صور الفضائل ، فلا أتق منك ولا أتق ، ولا أشجع منك ولا أكرم ، فأين منك الريح المرسلة فى العطاء ، وأين منك اللبث فى الشجاعة والإقدام ! . نشأت سيداً وفيأ ، وجاراً بجيراً ، وقريباً رحيماً ، وعزيراً متواضعاً ، ومنصفاً حكيماً ، لأثراً ولا بطراً ، ولا متكبراً ولا مرانياً . فهذا عمر بن الخطاب ينتهر يهودياً أخذ بتلاييك يطلاب ديناً لم تطله فيه ، فتوجه إلى عمر قولتك الخالدة : كان عليك أن تأمرنى بحسن الأداء ، وأن تأمره بحسن الطلب . .

أحببت المساكين وقربت الفقراء ، ورغبت عن الدنيا وقد راودتك جبالها أن تكون ذهباً ، واخترت الباقية الخالدة عن الزائلة الفانية ، فقرت عيون لا تحصى من الناس باصطحابك ، وهدأت نفوس لا تعد باقترابك ، فلم تشأ أن تحفف قلبك اللين السليم بالترف والنعيم ، وإنما شئت أن تكون فى صفوف المتألمين والمعدمين ، لتشعر بأحاسيس نفوسهم وظلمات قلوبهم ، فتعمل على إنقاذهم ، وترفع من شأنهم ، بتحديد موقفهم من أغنيائهم .

جاءت شريعتك اللامعة مقررة حقوق الفقراء فى أموال الأغنياء ، وتفضل مولاك ومولانا وهو المنعم ، لجعل حق الفقير حقه ، والتزمه ديناً يوفيه مضاعفاً وهو المالك ، ليخفف لوعة الفقر على نفوس الفقراء ، ويختلج برائن الحقد والحسد من قلوبهم للأغنياء ، ويجعل من الدنيا دار تعاون وتحاب وسلام ، لا دار قطيعة وكراهة وخصام .

نظرت إلى المرأة ، وهى نصف المجموعة البشرية ، فوجدتها مهددة الحقوق تعامل معاملة السوائم والمناع ، فكسكت قيدها وأطلقت أسرها ، وجعلت لها مثل ما عليها . ومكنتها من مالها ، وقبلت تصرفاتها وشهاداتها فيما يناسبها ، وسويتها بالرجل فى تكليفها وتبليغها خبر ربها ، ثم اخترت لها أن تكون مصونة من العبث بعيدة عن الابتدال ، حرصاً على مكانها من المجتمع وهى أمه ، والعرف محبب والانساب عزيزة ، تفرق بين الحيوانية الناطقة والحيوانية الناهقة .

جئت بشريعة حددت حقوق الأفراد والجماعات ، وأوضحت العلاقة بين

المتبوعين والاتباع ، كل له وكل عليه ، لا ضرر ولا ضرار ، ولا عرني ولا عجمي ، ولا مصري ولا عراقي ، فالمسلم أخو المسلم ، إن هذه أمتكم أمة واحدة ، فلا حدود مقامة بين المسلمين ، فإن أبت الحوادث الطبيعية إلا أن تفرق فصلة السماء بينهم . وحدة وكلية الله فيهم بجمعة ، إلههم واحد ، ونبيهم واحد ، ودينهم واحد ، ودستورهم كتاب الله . قرر عقيدة الدولة وقواعد تقويتها وتقويتها ، وأسس نظامها ومبادئ عمراتها وصيانتها من عبث العابثين وإثم الآثمين .

سیدی رسول الله :

يوسفنى أن أتجاوز القرون إلى قرنك الطاهر ، فأقف بين الأولين السابقين من المهاجرين والأنصار فأريهم صورة من صور المسلمين اليوم ، وقد انحرفوا عن سنتك ، وأهملوا تعاليمك ، فأضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، وتحملوا من كل فضيلة ، واتبعوا كل ناعق ، وفسدت رموسهم كما فسدت أجسامهم ، فالتفت بهم حشرات الأرض من كل جانب تنهب أرضهم وتسلب أموالهم وتفسد أخلاقهم وتصدّم عن دينهم ، لا من قلة مستضعفة ، وإنما عن كثرة مهينة وغناء كفتاء السيل لا غناء به ولا نفع فيه : فاللهم وسعت رحمتك كل شيء فاكتب لنا الهداية والتوفيق ، وارزقنا السداد والرشاد ، فإنك نعم المولى ونعم النصير .

الغوغاء

نظر عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى قوم يتبعون رجلا أخذ في رية ، فقال : لا مرحبا بهذه الوجوه التى لا ترى إلا فى كل شر .

وقال دعبل الشاعر :

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم الله يعلم أنى لم أقل فتّدا
إنى لا فتح عيني حين أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحدا

السوفسطائيون في نظر العرب نقد حملة جائرة

لفضيلة الاستاذ الشيخ أحمد شاهين

لأستاذنا الدكتور محمد غلاب مكانة بين مفكرى الشرق الحديث ، وله منزلة الملحوظة عند قراء العربية ، بفضل جهاده المشكور فى النهضة الفكرية الإسلامية الحديثة . ولا غرو فالدكتور غلاب عالم أزهرى واسع الأفق ، سيال العلم ، غزير الإنتاج ؛ كما أنه شرقى نزيه لم تفقده ثقافته فى أوربا إيمانه بمعدنية قومه وتاريخهم . ولعله أول باحث عربى معاصر جاهر لدينا بتلك الحقيقة المغمورة إذ أثبت بالبرهان القاطع فى كتابه القيم . (الفلسفة الشرقية) : أن نوع التفكير الحر المنظم الذى سماه اليونان بالفلسفة ، لم يكن خاصة للعقل الإغريق وحده كما زعم المغرضون من الباحثين الغربيين ومقلديهم فى الشرق ، بل إن هذا اللون من التفكير قد نبت وازدهر أولا فى حضارة الشرق القديم ، وأفاد منه اليونان أنفسهم .

ولقد تشرفت بالنلذة على الدكتور غلاب سنة دراسية كاملة إذ كان يدرس لنا مبادئ الفلسفة الشرقية والفلسفة الإغريقية . وقد بقى فى النفس شئ من بعض ما قرره عن مدى فهم العرب للنظريات والمذاهب الإغريقية . وهاك ما قاله عن السوفسطائيين فى نظر العرب وتأثيرهم فى بعض آراء المتكلمين الإسلاميين آثرنا مناقشته فيه على صفحات (مجلة الأزهر الغرباء) ليكون التحقيق فيه أتم والنفع به أعم . وما زلنا على البعد تلامذة للدكتور غلاب نتلقى عليه فى الصحف وفى مصنفاته القيمة الكثيرة ، بعد أن تلقينا عليه فى مدرجات الجامعة الأزهرية .

فى الجزء الأول من كتاب الفلسفة الإغريقية عرض الأستاذ لتحقيق آراء تلك المدرسة الإغريقية التى ظهرت فى القرن الخامس قبل المسيح وسموا أنفسهم بالسوفست ، وسماهم غيرهم بالسوفسطائية ، فأثبت أنهم على اختلاف مناهجهم قد أجمعوا على حقيقة واحدة هى إنكار الحقيقة المطلقة ، وإعلان الحكم العام .

ثم قال ص ١٤٨ :

« ولقد هاجم سقراط هذا الرأي في عنف وأثبت أن المفاهيم ليست وليدة الالفاظ وإنما هي مدركات ذهنية ثابتة لا تتغير تبعاً للكلمات، وزاد أفلاطون على ذلك أنها كائنات حقيقية لها وجود ذاتي مستقل عن الأذهان وعن المحسّات، وأنها وجدت قبلهما، ويسمى هذا المذهب (الحقيقة)؛ ولما جاء أرسطو قرر أن المفاهيم الذهنية وجودات حقيقية ولكنها تظل كامنة في المحسّات إلى أن تقع عليها الحواس فتنتقل صورتها إلى الأذهان، وليس لها في غير هذين الموقفين وجود. ويجب أن يسبق وجودها في الموضع الأول وجودها في الثاني، ويعرف هذا المذهب (بالمفهومية). وهذا المذهب الأخير هو الذي ذاع بين فلاسفة المسلمين ومتكلميهم، فحملهم على الجزم بأن كل المفاهيم الذهنية منتزعة من المحسّات، وهو رأى خاطيء .

« ونحن نرى بهذه المناسبة من الحق علينا للعلم أن نعلن هنا أننا إذا عذرنا الفلاسفة في اندفاعهم وراء أرسطو، فلا نعذر المتكلمين الذين كان من الطبيعي أن تحول بينهم وبين اعتناق هذا الرأي الخاطيء عقيدتهم بتعلق علم الله وإرادته بالكائن قبل أن تتعلق به القدرة التنجيزية، وسابقية تعلق العلم والإرادة على تعلق القدرة التنجيزية تقتضى سابقية الكائن المعنوي الذي يتعلق به العلم على الكائن المحس، وهو على عكس رأى أرسطو .

« وباليك الأمر وقف بأولئك المتكلمين عند هذا الحد، بل إن بعضهم حين أخرجهم منكرو الصفات بأنها تقتضى في ذات الباري تركباً وتكثراً، قالوا إنها لا تقتضى ذلك لأنها أمور اعتبارية؛ ولا ريب أن القائلين بهذا قد هوى في مذهب السوفسطائيين وهم لا يشعرون، ولو كان الأمر الذي هوى فيه غير صفات الباري لكان الأمر نوعاً، ولكن هذا هو الذي كان! . على أنى لأدري كيف سوغ لهؤلاء القوم منطقهم أن يتعمقوا صدور هذه الحقائق الكونية عن أمور اعتبارية مع انعقاد إجماع كل العقلاء في الشرق والغرب على أن العلة الفاعلة يجب أن تكون أحق وأقوى وأكمل من جميع متعلقاتها المتأثرة بها، كما هو منعقد على أن الحقائق الذاتية أسمى بكثير من الأمور الاعتبارية ... اهـ .

هكذا استطرد الدكتور غلاب في عرض المذاهب المختلفة في حقيقة الكلمات

ووجودها حتى حمل بلا حق على المتكلمين القائلين بأن وجود الكليات اعتباري، كما تحامل على مؤرخي الثقافة العربية لعددهم السوفسطائية ثلاثة مذاهب مختلفة. وليت شعري بأي المذاهب كان ينبغي على المتكلمين أن يأخذوا إذا كان اختيارهم لمذهب أرسطو الصحيح المطابق للواقع أمراً معيياً ومناقضاً لعقيدتهم بتعلق العلم والإرادة قديماً، كما يدعى الدكتور غلاب ١.

هنالك أربعة مذاهب في المفاهيم الكلية، وقد فصل القول فيها الدكتور بوضوح؛ فأما مذهب السوفسطائية فبديهي البطلان، وأما سقراط فلا فرق بينه وبين أرسطو في الموضوع؛ لأنه لا يجعل للكليات وجوداً في غير الأذهان والمحسوسات. لم يبق إذن سوى مذهب الحقيقة الأفلاطونية، وهو ما أوجبه الدكتور على المتكلمين لي مطابق عقيدتهم بتعلق الصفات الإلهية قديماً، كما يتبين من قوله: «سابقة تعلق العلم والإرادة على تعلق القدرة التعجيزية تقتضي سابقة الكائن المعنوي الذي يتعلق به العلم على الكائن المحسوس... الخ».

وفي هذه العبارة التواء وغموض؛ إذ كيف اقتضى علم الله وإرادته سابقة الكائن المعنوي وحده؟ وهل لم يتعلق العلم القديم بالجزئيات المحسوسة كذلك؟ إن تعلق العلم والإرادة قديماً بكليات الممكنات لا يعد تعلقاً بجزئياتها، لتجرد الأولى من الشخصيات في الثانية، ولأنهما عند أفلاطون الذي تابعه الاستاذ متغايران مغايرة الظلال للأشكال. وكأني بالاستاذ يريد ترديد الرأي الباطل القائل بأن علم الباري سبحانه قاصر على الكليات.

ولا مرأى في أن المفاهيم الكلية لا تدخل إلى الأذهان إلا بطريق استقراء الجزئيات المحسوسة وانتزاع ما بها من الصفات المشتركة الثابتة لتأليف الماهيا الذهنية منها، وهذه عملية يشترك فيها العقل مع الحواس وهي أصل المعارف كلها، والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون.

إذن فالقول بأن كافة المفاهيم الذهنية مصدرها الجزئيات المحسوسة، وأنها في الحس سابقة على وجودها في الأذهان - قضيتان صادقتان برهانهما الواقع نفسه، ولا يرد عليها تعلق العلم والإرادة بالأشياء قديماً، لأن ما في علم الله لا يسمى

بالمفاهيم الذهنية : وإن سبق تعلق العلم والإرادة بالحوادث لا يقتضى لكلياتها وجودا سابقا ؛ لأن أثر القديم لا يلزم بالضرورة أن يكون قديما ، وإنما تعلق العلم والإرادة بالكائنات الحادثة على أنها كائنة في مواقيت معينة ، فالظرف الزمى جزء من سبب وجودها . وبديهي أنه لا وجود للشيئيات إلا بتمام أسبابها .

لو صح جدلا أن تعلق العلم والإرادة قديما بالممكنات يقتضى وجودا سابقا لكلياتها ، فإن هذا الوجود لا يخلو إما أن يكون شرطا للتعلق أو يكون أثرا له . . لا جائز أن يكون الأول ، لأنه لو كان لازم لأحد محالين : هما انتفاء علم البارئ قديما بالجزئيات الحادثة لانتفاء شرط التعلق ، أو قدم تلك الجزئيات ، وكلاهما باطل بالعقل والمشاهدة . . ولا جائز أن يكون الثانى ؛ لأنه لو صح لبطل أثر القدرة التجيزية حيث استفادت تلك المتعلقات وجودها من التعلق القديم .

أما القول بأن صفات البارئ أمور اعتبارية ، فإنه الحل المستقيم لمشكلة الصفات المعقدة ؛ لأن الله سبحانه وصف نفسه فى القرآن بكثير من صفات التنزيه والكمال ؛ وبما أن القرآن كتاب عربى غير ذى عوج ، فقد وجب فهمه وتخريج نصوصه على مقتضى قوانين اللغة ، ومن قوانينها الثابتة أن الوصف بالمشتقات يفيد قيام الصفات بالذوات ، فقد ثبت أن الله صفات ، وقد اختلف فيها المتكلمون فتعالى قوم حتى لزهم التكثير فى الذات الإلهية والقول بتعدد القدماء ، وبالعالم المعزلة فى التجريد فلم يسلم مذهبهم من النقد والعيوب . لهذا قال أهل الحق بأن الصفات أمور اعتبارية .

وأما دعوى الأستاذ أنهم بهذا وقعوا فى السفسطة وهم لا يشعرون فردود ، لأن بين الاعتبارية عندهم والاعتبارية عند السوفسطائية فرقا كبيرا إذا اعتبارية الشيء لديهم معناها عدم زيادة الشيء على محله بوجود زائد أو منفك ؛ مثاله صفة الوجود فى الوجود .

وأما اعتراضه بأن العلة هاهنا تكون دون المعلول فى الوجود فردود أيضا ؛ لأن القائلين باعتبارية الصفات لا يحملونها وحدها مصدر الممكنات وعلمتها ، بل الممكنات لديهم صادرة عن الذات الموصوفة بهاتيك الصفات الاعتبارية ، والفرق بينهما كبير . قال الأمير فى حاشيته على الجوهرية عند تعريف صفة القدرة ، التأثير حقيقة للذات ، وقولهم القدرة فعالة مجاز لا كفر ... ، الخ .

وبعد فليست حملة الأستاذ على المتكلمين بأقل جورا من حملته على مؤرخى الثقافة العربية ، لعدم السوفسطائية ثلاثة مذاهب مختلفة .

الحبة الخالصة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد عبد التواب
مفتش الوعظ والإرشاد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من عباد الله ناساً ، ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء بمكانهم من الله . قالوا : يا رسول الله فتخبرنا من هم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ؛ فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعلى نور ، ولا يخافون إذا خاف الناس ، .
يبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل طائفة من الناس ، اجتمعت قلوبهم ، وصفت نفوسهم ، وزكت أرواحهم .

اجتمعت قلوبهم تخففت بالحب البرى ، وصفت نفوسهم فأشرفت بالنور الساطع ، وزكت أرواحهم فسمت إلى ذروة الفضل ، وسبحت في عالم الأملاك . طائفة من الناس لم يرن على أفئدتهم خبث النفاق والرياء ، ولم يطمس بصائرهم الهوى الزائف ، والزيغ الاثيم ، بل أحبوا مخلصين ، وتآلفوا مستبصرين ، واستمسكت روابطهم بعروة من الحق لا تنفصم ، وبسبب من العزم لا ينقطع ، وبوشائج من الطهر لم تشبها الأدناس ، ولم تلوثها الأكدار .

طائفة من الناس ليسو بأنبياء ولا شهداء ، ولكن مكانتهم عند الله ، ومنزلتهم في البررة الاختيار يغبطهم عليها الأنبياء والشهداء ، يغبطونهم في عجب وإعجاب ، وفي تساؤل واستشراف : بهم نال هؤلاء مكانتهم ، وبهم أظفروا غايتهم ، وبهم طابوا واستطابوا ؟ ؟

والغبطة ليست بالحسد ، في إثمه ورجسه ، فانه تمنى زوال نعمة الغير ، وإنه كما يقول سيدنا رسول الله ﷺ يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، أما الغبطة فهي أن تفرح — أيها الغابط — للنعمة يفيضها الله على المنعم عليه ، وهي دعاء وأمنية ، بأن تنال كما نال ، وتظفر كما ظفر ، وأن تظلكما نعم الله السابغة ، ففضل الله لا يحد ، وآلاؤه لا تنتهى ...

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن مكانة هذه الطائفة عند الله وظفرهم بهذه الغاية، فاستفسر الصحابة رضوان الله عليهم، معجبين متعجبين، قالوا يا رسول الله: فتخبرنا من هم، لنحذو حذوهم، ونبلغ شأوهم. فقال صلى الله عليه وسلم: هم قوم تحابوا بروح الله، وفي جلال الله، وعلى حب الله، ليس لبريق الذهب والفضة، ولا لمصلحة من عرض زائل، أو غرض ذاهب، ولا لصلة الرحم أو القرابة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يشير إلى أسباب المحبة التي تكون لغاية، من كسب مال، أو رابطة نسب أو قرابة، فإن شأنها لا يصل مهما عزت الرابطة، وقويت الأسباب، إلى هذا الأفق السامي الذي يجتمع فيه المتحابون في الله لغير غاية من قرابة أو مال. ثم يقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الصادق والمصدق، تأكيداً لبلوغهم هذه المنزلة، وإكباراً لشأن هذه الغاية، بأن وجوههم لنور، وأنهم لعل نور، ولا يخافون إذا خاف الناس..

أما أن وجوههم نور، فهو نور الصفاء تشرق به جباههم، وتنسبط بريقه أساريرهم، وتفيض به معالمهم بشراً، ووضاءة، وبهاء.

وأما أنهم على نور، فلأنهم على هدى في مسرهم ومسعاهم، ولأنهم على تبصرة في سرهم ونجواهم، ولأنهم على وضوح من الحق في أعمالهم ونواياهم. وقد روى الترمذي عن معاذ رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء..

وأما أنهم لا يخافون إذا خاف الناس، فلأنهم آمنوا الناس فأمنوا، وسالموهم فسلموا، وتولواهم بالحنو والسمو، فكانت حياتهم إحساناً، ودعاؤهم أماناً، وغايتهم سلاماً. فكرمهم الناس، وأكبرهم الناس، وأحبهم الناس، ومن أحبه الناس أحبته الله. روى الإمام مالك في الموطأ بإسناده الصحيح عن أبي إدريس الخولاني رحمه الله، قال: دخلت مسجد دمشق، فإذا فتي براق الثياب، وإذا الناس معه، فإذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه، وصدروا عن رأيه، فسألت عنه، فقيل: هذا معاذ بن جبل، رضي الله عنه، فلما كان من الغد هجرت (يعني بكرت) فوجدته قد سبقتني بالتهجير ووجدته يصلي، فانتظرت حتى قضى صلاته، ثم جثته

من قبل وجهه ، فسلمت عليه ، ثم قلت : والله إني لأحبك ! فقال : آله ؟ (يعني هل حبك لله) فقلت : لله . فقال آله ؟ فقلت : لله . فأخذني بخيوة ردائي فجذبني إليه فقال : أبشر فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ، قال الله تعالى وجبت محبتي للمتحابين في ، والمتجالسين في ، والمتزاورين في ، والمتبازلين في ، . وري أبو داود بإسناد صحيح عن أنس رضي الله عنه أن رجلا كان عند النبي صلى الله عليه وسلم فر رجل به فقال : يا رسول الله إني لأحب هذا ؛ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أأعلته ؟ قال لا ؛ قال : أعليه . فلحقه فقال : إني أحبك في الله ، فقال : أحبك الله الذي أحببتني له ...

وبعد : فلو أن الناس صدقوا في حبهم ، وأخلصوا في ولائهم ، وجعلوا لله وجهتهم ، لنساموا بمكانهم من الله ، ولحفَّتْهم أنوار الله ، من فوقهم ومن تحتهم ، وعن أيمنهم ، وعن شمائلهم ، ولكانوا موضع الغبطة حتى من الأنبياء والشهداء . والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

الحرب

قيل لعنزة : صف لنا الحرب . فقال : أولها شكوى ، وأوسطها نجوى ، وآخرها بلوى .

وقال ابن عبد ربه مؤلف العقد الفريد : هي رحي ثقالها الصبر ، وقطبها المكر ، ومدارها الاجتهاد ، ونفاقها الأناة ، وزمامها الحذر . ولكل شيء من هذه ثمرة : فثمرة المكر الظفر ، وثمرة الصبر التأيد ، وثمرة الاجتهاد التوفيق ، وثمرة الأناة العين ، وثمرة الحذر السلامة . ولكل مقام مقال ، ولكل زمان رجال ، والحرب بين الناس بيجال ، والرأى فيها أبلغ من القتال .

وسأل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الفارس المنغوار عمرو بن معد يكرب أن يصف له الحرب ، فقال : مرة المذاق ، إذا كشفت عن ساق ، من صبر فيها عرف ، ومن نكل عنها تلف . ثم أنشد :

الحرب أول ما تكون فتية	تسعى بزينتها لكل جهول
حتى إذا حميت وشب ضرامها	عادت عجوزا غير ذات حليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت	مكروهة للشم والتقييل

الاسلام والمثل العليا

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد المنعم خفاجي
المدرس بكلية اللغة العربية

لا نجد ديناً يدعو الى المثل العليا في الحياة كما يدعو إليها الإسلام ؛ ولا عجب فهو دين البشرية الخالد ، وعقيدة الفكر الحر المتوثب ، وخلاصة المثل الإنسانية الكريمة ، التي ترنو إليها البشرية ، وتهدف نحوها الحياة ، وتتلاقى مع تيارات التفكير الحديث ، وتتجمع مع مبادئ الحضارة والمدنية ، الصافيتين من شوب الأهواء ، وجروح الشهوات .

ولقد جاء الإسلام والعالم يديش في ظلام دامس ، وجهل مطبق ، ونظم عتيقة فاسدة ، وعقائد محرفة مضللة ؛ فبدل ظلام الحياة ضياء ونورا ، وجهل الناس ثقافة وعلماء وعرفانا ، ومحا هذه النظم البالية من كل نواحي الحياة ، وجاء بأصول اجتماعية إنسانية تربط الإنسان بالمجتمع والحياة ، وتسير به الى حضارة مهيبة رائعة ، وتجمع بين المادة والروح والدين والدنيا والأولى والآخرة ؛ كادعا الى عقيدة تجمع بين أصول العقائد والأديان السماوية الصحيحة ، وتنمى مع الفطر السليمة ، والإنسانية الكريمة ، والعقول والقلوب والوجدانات ، التي لم تضلها تقاليد موروثية ، أو عادات شائعة ، أو أهوام زائفة ، أو تفكير ينأى به الخطأ عن جادة المنطق السليم .

ولقد أنت الروح الإسلامية الأولى بالمعجزات : في الاجتماع والسياسة ،

وفي الأدب والعلم والفن ، وفي التفكير والتنظيم ، وفي شتى نواحي الحياة والحضارة . ومن أولى بذلك من الإسلام ، دين الله ، وشريعة رسوله محمد صلوات الله عليه ، ودستوره القرآن ، ومنطقه العقل والحجة والبرهان ؛ وأساسه الفضيلة والإيثار والحق والصدق والخير وروح الجماعة والإنسانية العالية ، والتجردُ من الآوهام والذائل والمادية القائلة ، ومن كل ما هو منكرو قبيح ؟ .

لقد سنَّ الإسلام القوانين الصالحة لكل العصور والجماعات ، والكفيلة برقي الفرد والأسرة ، وتقدم المجتمع والأمة والإنسانية ، على نحو يرضاه العقل ، ويطمئن إليه القلب والوجدان ؛ فلم لا يكون مع ذلك الداعي إلى المثل الأعلى في النظام والتشريع ؟ .

ووجه الإسلام الناس جميعاً إلى عبادة إله واحد لا شريك له ، له مقاليد السموات والأرض ، يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ، وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر ؛ وفي ذلك يقول الله تعالى في كتابه الحكيم : « إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض خيفاً وما أنا من المشركين ، « قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت ، وأنا أول المسلمين ، كما دعا الإسلام الناس إلى دين واحد ، يصدق به العقل والروح ، ويجمع بين خير الدنيا والآخرة ، ويرشد إلى أمثل ما في الحياة من عدالة وخير ورحمة . وجمعهم على كتاب واحد ، ودستور خالد ، هو القرآن ، كتاب الله العظيم ؛ وعلى رسالة واحدة ، هي رسالة محمد بن عبد الله صلوات الله عليه ، وهي الرسالة التي تتفق مع دعوات الأنبياء وشرائع المرسلين ، شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، فلم لا يكون الإسلام مع ذلك كله مثلاً أعلى في العقيدة والإيمان ؟

وحارب الإسلام العصبية وأفكار الجاهلية الأولى ، التي تفضل جنسا على جنس ؛ يقول الله عز وجل : إنما المؤمنون إخوة ، ، ويقول رسوله صلوات الله عليه : لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ، ؛ حاربها الإسلام لأنها تنادى بالتنابد والبغضاء ، وتفرق بين الناس وقد ضمهم أصل واحد ؛ يأبها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم . .

ومحاربة الإسلام الفروق الاجتماعية الواسعة بين الطبقات ، التي كثيرا ما تستند الى الحسب أو الجاه أو المال ؛ وجعل الفقير أخا الغني والغني أخا الفقير ، ودعا الاغنياء الى البذل والجود والصدقة والإحسان وأداء الزكاة وإنفاق المال في كل حق وخير ومعروف ؛ كما دعا الفقراء الى الأمانة والعمل والزهد والقناعة والرضا بما قسم الله ، « أو لم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ، فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ، ذلك خير للذين يريدون وجه الله ، وأولئك هم المفلحون ، ؛ وقرر أن المال في أيدي الاغنياء إنما هو مال الله استخلفهم عليه ، آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ، ؛ وما ينفقونه من مال على الفقراء إنما هو قرض لهم عند الله يجازيهم عليه خيرا كثيرا ، وأنفقوا خيرا لأنفسكم ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم ، والله شكور حلیم . . فكيف لا يكون الإسلام مع ذلك ديننا عاما هو المثل الأعلى في الاجتماع والروح الإنسانية العامة ؟

والاصول الأولى في الإسلام تدعو إلى الحق والخير والعدل والمساواة والحرية ، وإلى التعاون والوحدة والشورى ، وإلى الأخوة العامة والزمانة الإنسانية المشتركة ، وإلى الثقافة والمدنية والحضارة والرقى ، وإلى محاربة الاهواء والتقاليد الضارة ، وإلى المحافظة على الشرف والكرامة وروح الإنسانية في الفرد والجماعات والأمم ، كما تدعو إلى السلام ، وإلى أن يقوم هذا السلام على الحق



مركز تحقيقات كالمپوئر علوم اسلمى



مركز تحقيقات كالمپوئر علوم اسلمى

أدين إذا اقتاد الجمال أزمّن وأعزو إذا اقتاد الجميل عناني
وما خلفه من مصفى القريض ، ومنحول القصيد ، وبلغ النشيد ، خليق بما
قلده بيته :

فلا حكمتى دعوى ولا منطقى هوى ولا مبدئى لؤم ولا قلبى وغمد
وأفصح ما يفصح عن ذلك العبقرى ، ويكشف عن صفاء نفسه ، وإحكام
براعته ، وإتقان براعته - ما جرى بين قوافيه فى رثاء (جَدَّتِه) .

وأحكم من تحكم فى يراع وأبلغ من تبلغ من داوة
وأبرأ من تبرأ من عداة وأنزه من تنزه من شيمات
وأصون صائن لأخيه عرضاً وأحفظ حافظ عهد اللدات
وأمثل قائل للدهر خيراً وأصبر صابر للغاشيات
وعاطفة شوقى هى التى ساعدته على صدق الوفاء ، ورقة شوقى هى التى جودت
وخلدت (شوقيات) الرثاء .

يأبها الدمع الوفى بدار نقضى حقوق الرفقة الاخيار
أنا إن أهتسك فى تراهم فالهوى والعهد أن يبكوا بدمع جار
عظفا عليهم بالبكاء وبالأسى فتعهد الموتى من الإيثار
وبذلك وأمثاله سيظل شعره ، وسبق ما تخلف الشعراء عن (شوقى) نلوذ
بالشوقيات ، ونقطف من رياحينها ، إن مسنا طائف السراء ، أولفحنا هجير الضراء .
كان شعرى الغناء فى فرح الشر ق وكان العزاء فى أحزانه
واحتفاؤه بالمعانى الإنسانية وتصويره للأمانى الوطنية ، لا يفسينى تفرد
وابتكاره وتقديسه المعالم التاريخية : فرعونية ، وشرقية ، وعربية ، وإسلامية .
ناهيك بالآثار العالمية .

وأنا المحتفى بتاريخ مصر من يصن مجده فقد صان عرضا
وهو السباق الذى لا يضارع ، والوصاف الذى لا يشق له غبار ، ومن يمار
فعله أن يسمعه وهو يناجى (الهرم) أو يخاطب (أبا الهول) أو يقف معه
على القصور الغرقى ، بمسكا بعضها من الذعر بعضا .

من لي بمن يعرف البيان المصور، والأفئدة المنصّدة، والسحر المقتنى، والخلق
المظلوم، والنغم المنضود؟ من لي...!

ومن يطلب إجابة بعد إجابة شوقي حين يقول على أطلال المجادة الدارسة :
قف بتلك القصور في اليم غرقى ممسكا بعضها من الذعر بعضا
ويقول فيها وفي استعصائها على البلى، واستعلاء نقشها على توهين الأزمان :
شاب من حولها الزمان وشابت وشباب الفنون ما زال غضا
إنه شوقي الذي صنع الخلود لما ضرب به المثل في الخلود. لقد عرف حق
(التاريخ) على من يعتز بالتاريخ، وآمن بأن الأمم لا تحيا على هباء من الماضي،
ولكنها تعيش على الطارف والتالد، فاجل الذاهب، وقدس الحاضر.

هذا المقام عرفته وسبقت فيه القائلين
ووقفت في آثاركم أذن الجلال وأستبين
وجمال الآثار تزأج مع جمال اللغة، ولقهما إيمان (شوقي) بسر (الضاد)،
وتدله بدقائقها وإدراك خصائصها، وتمرسه واقتناصه لشواردها.
لجاء (شعر شوقي) خاليا من الضعف الذي منى به متخلفو (التجديد)،
مشغلة القاعدين عن التحصيل والتسديد.

وليتم ساروا على رسم (شوقي) ولم يلهم زيف المحاسن المجلوبة !. ليهم
تكاثروا ونهالكوها على مائدة الجمال التي كانت — ولا تزال — مراداً للأول
والآخر:

إنها مائدة الضاد.

إن الذي ملأ اللغات محاسنا جعل الجمال وميره في الضاد

وما ينبغي لأحد أن ينكر على القلم إطلاق العنان في الإشادة بشوقي وفنه
الشاعري، لأنه أعطى موهبة ساقته وتساقطت مع مفاتيح السر. وما يلقاها
إلا ذو حظ عظيم.

ونحن كلما طالعنا ذكراء تسائلنا مصر ومعها الشرق، وتلفتت البلاغة،
وتطالبنا الأحداث: أين شوقي وهذا مكانه لما يزل شاغرا ١٩

ويجذب بنا الشوق الى الجواب، ونشركنا ثقتنا فاذا كل ما فيها رخاوة وهزال مما
يشبه الهرم، وإذا الذي بيننا وبين المبالغ في التسأل تحية معتذرة ورجعة الى (كرمة
ابن هاني)، وتحنقنا على ضفاف النيل عبرات لا تجففها إلا صفحات الشوقيات من
الدواوين والمرحيات، وأما اللغة العربية وشاعرها وسميرها وسامرها فلعلها
إن سألت عنه حرية في يوم ذكراء أن تتلقى اصداً في طيئها ما قاله (شوقي)
يرثي به صديقا كان يسهر على إشاعة البشر في حياته، والإيناس في وحشاته، وإنه
لنجيه في غدواته وروحاته:

تسألني كرمي بالنهار وبالليل أين سميري (حسن)
وأين النديم الشهي الحديث وأين الطروب اللطيف الأذن
نجي البلابل في عشها وما لها صنعة في الفن
فقلت لها: مات واستشعرت ليالي السرور عليه الحزن
وما هو ميت ولكنه بشاشة دهر محاما الزمن

الآخوان

قال الأحنف بن قيس: خير الإخوان من إن استغنيت عنه لم يردك في المودة،
وإن احتجت إليه لم ينقصك منها، وإن كوثر عضدك، وإن استرفدت رفدك.
وأشيد:

أخوك الذي إن تدعه للملة يجبك وإن تغضب إلى السيف يغضب
ولما صارت الخلافة إلى المنصور كتب إليه رجل من إخوانه كتاباً فيه
هذا الأيات:

إنا بطانتك الآلى كنا نكابد ما تكابد
ونرى فنعرف بالعداوة والبعاد لمن تباعد
ونبيت من شفق عليك ريبة والليل هاجد
فوقع أبو جعفر على الكتاب: صدقت، ودعا به فألحقه بإخوانه.

الايـمان

لحضرة الاستاذ عمر طلعت زهران
أستاذ في الادب والصحافة

ليس الايمان مقتصرأ على دين دون دين ، أو على جنس دون جنس ، ولكنه شعور يشعر به الفرد أيا كان دينه أو جنسه أو وطنه . وإن الكتب العربية لتزخر بوصف مشاهد الخشوع وقصص الإيمان ، ولنا لرى الكتاب يقصون علينا تلك الانباء ، أو يخطون إحساساتهم العامة بالإيمان ، في أسلوب قوى بليغ يشع إيماناً ، ويذوب وجداناً . وما أبلغ البوصيرى في برده ، وهو الذى لم يشتهر إلا بها ، ولم يكن شعره فى غيرها من عيون القاصد . وقد وقعت فى قرأتى فى كتاب د فى خطى المسيح ، من تأليف هـ . ف . مورتون ؛ على وصف لحاج بلغارى يزور بيت المقدس ، رأيت أن أنقله إلى العربية . ولعل من نوافل القول أن أقول إن مورتون ليس من كتاب الإنجليز الممتازين ، فان نقدتهم يرون فيه كاتباً عادياً ، كغيره من مئات الكتاب ، ولكنه فى كتابه - الذى تنقل عنه - يمتاز بروحانية التعبير وحسن الأداء ، فهو يصف رحلة قام بها إلى بيت المقدس ليزور الأراضى المقدسة ، والأمر إن اقتصر على الوصف ، كان جافاً ، ولكنه يبت خلال السطور مشاعره ، ويبين عن إحساساته ووجدانه ، ويرجع بذكرياته الفهقرى ، قروناً وقروناً ، يذكر أو يتذكر الحوادث حين وقوعها ، فيعطينا صورة حية لعصر قد من عصور التاريخ .

أراد الكاتب أن يدخل الهيكل المقدس حيث يوجد قبر المسيح . وقبر المسيح : حجرة ضيقة مرمية ، طولها ستة أقدام ونصف ، وعرضها ستة أقدام ، لا يستطيع أكثر من شخصين أو ثلاثة أن يقفوا فيها معاً ، وفى شطرها الايمن

لوح من المرمر الأبيض يغطي الصخرة التي وضع عليها المسيح بعد صلبه ،
(فيما يزعمون) .

رأى مورتون حاجا يسجد داخل القبر ، فانتظر حتى ينتهي من صلاته
ليدخل اليه بدوره .

وطال انتظاري ونفد صبري ، فأخيت قمتي ونظرت خلال الباب المنخفض
فرايت أن الشخص الساجد إنما هو شيخ ، بلغ من العمر عتيا ، منحني الظهر ،
مهمل الثياب ، يتعل نعلًا ضخمًا من اللباد . كان حاجا بلغاريا أتى في سفينة حجاج
ولربما كان يدخر حياته كلها لهذه اللحظة .

كان يسجد أمام القبر ، الرخامي ويقبله مرارا ، تتساقط من عينيه الدموع
غزيرة ، فتساب خلال تجاعيد وجهه متساقطة على الحجر ، وكانت يدها الخشفتان
الكبيرتان ، وأظافره الغليظة السوداء ، من أثر عمل مكدم شاق ، تلمس الرخام
برفق وخشوع ، وفي عاطفة جياشة رقيقة ؛ ثم لا يلبث أن يستأنف صلاته .

وأخذ يبتهل الى الله بصوت مرتفع مرتجف ، وأنا أنظر إليه غير مستطيع
فهم ما يقول . وأخرج من جيب سترته بضع وريقات متسخة وشريطا من القماش ،
مسح بها جميعا القبر ، ثم عاد فأودعها جيبيه .

وظننت أني قد أجد مكانا لي بجانبه ، فأخيت رأسي ودخلت الهيكل ، فلأنا
ثلاثتنا - الراهب الإغريقي ، والفلاح الساجد ، وأنا - المكان الضيق . وكان يمكننا
أن نظل - رغم ضيق المكان - في راحة ودعة ، لو بقي الفلاح ساجدا ، ولكن لعل
دخولي قبله أزعجه ، فنهض وما زالت دموعه تتساقط ، وهمس في أذني ببعض
الكلمات . ووقفنا - ثلاثتنا - وقد تلاصقت صدورنا ، وتلاقت أبصارنا ،
وأيقنت أني أرى في عيني هذا الفلاح سعادة حقة .

لقد حقق حلم الحياة ، ولم أكن قد رأيت سعادة مثل سعادته من قبل ، لم أكن قد
رأيت السلام والرضا مجسمين على وجه ، كما كانا على وجهه ، وودت لو دفعت

الحياة وما أملك ، ثمنا لحديث أباده إياه ، ولكننا ظللنا هكذا وقوفا في . قبر ، المسيح ، يمس - هو - في أذن بحديث لا أفقه منه شيئا ، ولا أستطيع إلا أن أمزله رأسي نفيا .

ولعله يئس من محادثتي ، فتحول عني الى الراهب الإغريقي وممس له بنفس الكلمات ، ولكن الراهب ، لم يفهم قوله قط ، فمز رأسه - أيضاً - نفياً . وعلا الضيق بحيا الشيخ العجوز ورفع صوته قليلا ، ونظر الى الدرج الرخامي نظرة سريعة ، ما لبث أن خفضها ، ثم أشار الى جبهته والى المصاييح المعلقة فوق . قبر المسيح . وهنا فهم الراهب ما يريد ، فأوما إيجابا ، وخفض مصباحا ، وأخذ قطعة من القطن قبلها بزيت المصباح ثم مسح بها وجه الفلاح .

وخر الشيخ العجوز راكعا على ركبتيه محولا وجهه نحو . القبر ، غير راغب في مبارحة المكان ، خاشعا من أثر الإيمان ، تتحسس يده الخشتان الكبيرتان . القبر ، المرمرى ، كأنما تمسحان على شعر طفل بحنان .

وجلست حيناً على مقعد حجري ، وواجهها الباب المنخفض المؤدى الى القبر ، وعاهدت الله - بيني وبين نفسي - أن أجلس هنا طيلة إقامتي في بيت المقدس . كان الجمع الذي حولي ساكناً ، يصعد الزفرات ، ويسجد في خشوع ، أو يقف على أطراف أصابعه في ضوء الكنيسة الخافت ، يتحدث فيما بينه همسا ، أو يسمع الله على حبات المساح .

وهنا تذكرت وصف . مايتلد مراد ، الرائع لهذا الجمع إذ تقول :

« كانوا يقفون كالأشباح ، لا ينظرون يمينا ولا يلفتون شمالا ، مستغرقين في صلواتهم ، تائهين بين تأملاتهم ، غائبين في ذكرياتهم الحزينة ، كأنما قد غاب عنهم كل شيء ، إلا الرغبة الملحة في أن يدعوا الله ، في قدس الأقداس هذا ، راجين العفو ، طالبين المغفرة من وسعت رحمته كل شيء . وإن أفكار المتعبد المتجهذ ، في هذا الضوء الخافت ، وفي هذا المكان الساكن ، لتضمحل وتضائل إزاء هذا الشعور الروحي ، وهذا القلق المتسامي ، حتى لتفنى الشخصية الفردية ، وتبدو جميع الماديات كأنما هي أشباح غير حقيقية . »

في قصر الرشيد

سيرته في ندمائه

لحضرة الأستاذ الشيخ حسن خطاب الوكيل

كان الرشيد لا يصبر عن مصاحبة ابن أبي مریم المذنب، ولا يمل محادثته؛ لأدبه وطرافته، ومعرفته أخبار أهل الحجاز وألقاب الأشراف، ومكايد التجار، وخفة الروح، ومرعة الخاطر؛ لذلك بوأه الرشيد مكاناً في قصره، وخلطه ببطانته ومواليه، واتخذته نديمًا خاصاً له.

ففي ذات ليلة دخل الرشيد غرفة ابن أبي مریم وقت الفجر، فوجده يغط في نومه، فكشف عنه غطاءه وقال له كيف أصبحت؟ فاستيقظ ابن أبي مریم قليلاً وهو يظن أن مكلمه أحد حراس أمير المؤمنين، فأجابه من غير روية: ما أصبحت بعد، اذهب يا هذا إلى عملك! فقال له الرشيد: ويلك قم إلى الصلاة! فأجابه ابن أبي مریم من تحت الغطاء: هذا وقت صلاة أبي الجارود^(١) وأنا من أصحاب أبي يوسف. فتركه الرشيد وأرسل إليه أحد الخدم ليوقظه، فقال له: أمير المؤمنين قد قام إلى الصلاة فتم. فقام ابن أبي مریم وتوضأ ودخل إلى المصلى فإذا الرشيد يقرأ في صلاته آية: «وما لي لأعبد الذي فطرني»، ثم أمسك عن بقية الآية. فلاحظ عليه ابن أبي مریم بقوله: لا أدري والله! ففطن لها الرشيد فضحك وخرج من صلاته، والتفت إلى ابن أبي مریم وقال له محذراً: في الصلاة أيضاً! فأجابه ابن أبي مریم مغالطاً على سبيل المزاح: يا هذا وما صنعت؟ فأجابه الرشيد: قطعت على صلاتي وأضحكتني. فقال له ابن أبي مریم معتذراً: والله ما قصدت، وإنما سمعت منك كلاماً غمى حين قلت: وما لي لأعبد الذي فطرني، ثم أمسكت فقلت: لا أدري والله، ما لك لا تعبد الذي فطرك!

(١) أبو الجارود: أحد رجال "معيمة".

فضحك الرشيد وقال له منيذراً ومودباً : إياك والقرآن والدين ، ولك ما شئت بعدهما ! .

ولما طلعت الغزالة ، وأشرقت الأرض بنور ربها ، وألحف الجو الضياء ، وغنت الأطيوار ؛ أرسل الرشيد في طلب إسحاق الموصلي فأحضر ، فقال له الرشيد : غننا يا إسحاق :

أعاذل قد نهيت فما انتهيت وقد طال العتاب فما ارعويت
الح الايات .

فغنى إسحاق وأطرب وأجاد ما استطاع إلى ذلك سبيلاً . فطرب الرشيد واستعاد الغناء ، فغاظ ذلك إبراهيم المهدي وكان حاضراً ، فقال لإسحاق : ما أصبت يا إسحاق ولا أحسنت ! . فأجابه إسحاق على الفور بقوله : ليس هذا عما تعرفه ولا تحسنه ، وإن شئت فغنه أنت ، فإن لم أجذك أنك تخطئ فيه منذ ابتدائك إلى انتهائك فدمى حلال .. ثم وجه كلامه إلى الرشيد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذه صناعتى وصناعة أبى ، وهى التى قربتنا منك وأوطأنا بساطك ، فإذا نازعنا فيها أحد بلا علم ، لم نجد بداً من الإيضاح . فقال الرشيد له مطيباً خاطره : لا لوم عليك يا إسحاق . ثم قام من المجلس كأنه قام لحاجة في نفسه .

فانتهز هذه الفرصة إبراهيم المهدي والتفت إلى إسحاق مخاطباً ومعنفاً : ويلك يا إسحاق ، أتجترى على فى حضرة أخى ، وتقول ما تقول يا ...

فأجابه إسحاق مغاضباً : أنت تشتمنى ولا أقدر على إجابتك ، وأنت ابن الخليفة وأخو الخليفة .

وبينما هما على هذه الحال ، وإذا بالرشيد يعود إلى المجلس على أثر هذه المشادة الخطيرة .. فتقدم إبراهيم المهدي ، وجلس بين يديه ، وقال : يا أمير المؤمنين شتمنى إسحاق ، واستخف بى ! .

فغضب الرشيد ونظر إلى إسحاق ، وقال له : ويلك يا إسحاق ، ما تقول ١٤ .

فأجاب إسحاق خائفاً : لا أعلم ، وسل من حضر يا مولاي .

فتقدم مسرور وقص عليه كل ما حدث .

فالتفت الرشيد إلى إبراهيم وقال له : لا ذنب على إسحاق ، شتمته فعرفك أنه لا يقدر على جوابك . ارجع إلى مكانك وأعرض عن هذا حتى أنظر في أمر إسحاق . ثم التفت إليه وقال له يا إسحاق : وبلك لا تعد لثلك هذا ! أنرى لو ضربك إبراهيم أكنت أضربه وهو أخى يا جاهل ؟ أنراه لو أمر غلبانه فقتلوك أكنت أقتله بك ؟

فأجاب إسحاق وقد أوجس في نفسه خيفة : والله يا أمير المؤمنين قتلتنى بهذا الكلام ، وإن بلغه ليقتلننى ، وما أشك فى أنه بلغه الآن ! .

فرق الرشيد وعطف على إسحاق ، فأراد أن يدرك الأمر وأن يعالجه بالحسنى قبل خطورته ، فقال لإسحاق : إلى منزلك حتى أدعوك بعد . وبعث فى طلب إبراهيم المهدي ، فأحضره فابتدره الرشيد بقوله : أتستخف بخادى وصنيعتى ، وابن صنيعتى وخادى ، وصنيعه أبى ، وتقدم على وتستخف بمجلسى وحضرتى هاه ! هاه ! وأنت مالك وللغناء . وما يدريك ما هو ؟ ومن أخذك به وطارحك إياه حتى تنوم أنك تبلغ فيه مبلغ إسحاق الذى غدى به وعليه وهو فى صناعته ؟ ثم تظن أنك تحطه فيما لا تدريه ، ويدعوك إلى إقامة الحجة عليه فلا تثبت لذلك وتعتصم بشتمه ! ألا تعلم أن هذا سوء أدب ، وقلة معرفة ، وعدم مبالاة بالخطأ والرد القبيح والتكذيب . والله العظيم ، وحق رسوله ، وإلا فأنا برىء من المهدي ، إن أصابه أحد بمكره ، أو سقط عليه حجر من السماء ، أو وقع عن دابته ، أو سقطت عليه سقيفة أو باب فجأة ، لاقتلنك به . والله والله وأنت أعلم ، قم الآن فاخرج ولا تعرض له ! .

ولما كان الغد أو بعده بعث الرشيد فى طلب إسحاق ثم إبراهيم فأحضرا ، فأخذ الرشيد يمدد للصالح بينهما ، فصار ينظر إلى إبراهيم ويبتسم ، ثم ينظر إلى إسحاق ويبتسم ، ثم التفت إلى إبراهيم وقال له : إني لأعلم محبتك لإسحاق ، وميلك إليه ، وإلى الأخذ عنه ، وإن هذا لا يحىء من جهته كما تريد إلا بعد أن يرضى ، والرضا لا يكون بمكره ، ولكن أحسن إليه وأكرمه ، واعرف له حقه وصله .

ثم التفت الرشيد إلى إسحاق وقال له : قم الآن إلى مولاك وابن مولاك فقبل رأسه . فامتلل إسحاق وقبل رأس إبراهيم ! .

شهادة الأيام في قضية الإمام

هذا عنوان كراسة مطبوعة تبلغ صفحاتها ثمانية وأربعين صفحة تحتوي على كلمة لصاحبها الشاعر النابه البليغ مرسى شاكر أفندي الطنطاوى ، تليها قصيدة يبلغ عدد أبياتها نحو ثلاثمائة بيت بل تزيد ، وتنتهى بوضع صفحات قيمة تبحث في سيرة الإمام على عليه السلام والحوادث التى طرأت في أيامه ، لحضرة الوجهه ميرزا مشكى بك رفيع مشكى .

أما القصيدة فهى كما يدل عليه عنوانها ، شهادة الأيام في قضية الإمام ، لم تدع صغيرة ولا كبيرة من سيرته وشماله رضى الله عنه إلا أتت بها شعراً في ألفاظ مختارة ، وصياغة معجبة ، وسبك بديع ، وعرض للحوادث الخطيرة ، في نظام متسق . فهذه القصيدة قطعة من الأدب العصرى الذى يجب أن ينشر ، ويجب أن يدخر ويقرأ .

حجة المنبر

إن سيادة حسن القياقى من أنجب المشتغلين باللغة من المعاصرين ، وهو عضو بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ، اشتغل بالأدب على عرق ، فبلغ فيه شأواً بعيداً . وقد أهدانا برسالة مما كتبه أخيراً تحت عنوان (حجة المنبر) نخا فيها نحواً طريفاً في الوعظ والإرشاد ، والنمى على البدع والمبتدعين ، وأنهى بقوة على اللاهين والمتمردين ، في عبارات تلفت الذهن للفهم ، وتوقظ النفس للاتعاظ . ليست جارية على سنن الخطباء المنبريين ، ولكنها أفعل في لفت الأنظار ، وإيقاظ القلوب ، مما اعتاد الناس أن يسمعوه في كل جمعة حتى حفظوه . وإنا لآتون للقارىء بقطع منها ، لإدلاله على باقىها : قال سيادته :

أما بعد : فأين يذهب بكم أيها المسلمون عن الدين ، وسنة الهادين ؟ وكيف أنستم إلى مقتل الفضيلة ، وسطوة الرذيلة ؛ وتألفكم من الزمان بالإحسان ، وقعدت بكم جفوة الأمل ، عن العمل .

أين لا أين ؟ من يتقى الله حق تقاته ؟ ويعمل لمرضاته ؟ وأين من يقيم الصلاة ، ويؤتى الزكاة ؟ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ، ، والزكاة مرحلة وقوتاً . أين الصائمون ينعمون بين شدة الصوم وضيق ؟ والحجاج المطهرون يأتون من كل فج عميق ؟ بمثل هؤلاء يقام الدين ، ويكبر اليقين .

كتاب النفس لأرسطو طاليس

إن كتاب النفس للفيلسوف الأشهر أرسطو الملقب بأمير الشعراء بقي مرجع لجميع الفلاسفة في هذا العلم إلى القرن التاسع عشر ، وهو في الوقت نفسه أعظم كتب أرسطو قيمة . وهو يشمل ثلاث مقالات : الأولى سرد فيها أرسطو مذاهب القدامى من الفلاسفة الذين سبقوه ، والثانية في تعريف النفس على حسب مذهبه ، والثالثة في الحس المشترك والتخيل والتفكير والنزوع

ولم يقتصر أرسطو على كتابه هذا ، فكتب في مواطن أخرى من مؤلفاته ما عني له من الأمور المتعلقة بعلم النفس . وهو يعتبر دراسة النفس جزءا من العلم الطبيعي ، لأن النفس ، كما قال : مبدأ الكائن الحي .

وعلى هذا فإن ترجمة هذا الكتاب ونشره يعتبر من الأعمال التي تخدم بها دراسة الفلسفة أجل خدمة .

نقول هذا وبين يدينا ترجمة جلييلة القدر ، منقطعة النظير لهذا الكتاب الشهير قام بها الأستاذ الجليل الدكتور أحمد فؤاد الأهواني المدرس بالجامعة المصرية اعتمد فيه على (تريكو) الفرنسية ، ونظر إلى جانبها في ترجمة (هكس) . وقد رأى إتقانا للفائدة أن يكشف صديقه الأب قنواقي لمراجعة الأصل اليوناني لأنه لم بهذه اللغة : فكانا يجتمعان للمراجعة والمقابلة حتى أصلحا الترجمة ، وأصبحت أقرب إلى الصحة . فقامت هذه الترجمة بعد ما بذلت لها هذه العناية العظيمة جديرة بكتاب يعتبر أكبر مرجع لعلم النفس في الفلسفة القديمة . ومن الجزاء الحسن لحضرة الأستاذ الدكتور الأهواني أن يوفق إلى ترجمته ليكون مكافأة له على ما بذله من العناية الفائقة بترجمة سواء من الكتب النافعة ، وإنفاق أوقاته في تمحيصها وتهذيبها .

ولسنا بحاجة لأن نقول إن الكتاب مطبوع طبعة أنيقة على ورق غاية في الجودة ، وقد وضع في ذيله معجما للمصطلحات الواردة في كتاب أرسطو بأربع لغات : الفرنسية والإنجليزية واليونانية والعربية .

فهرس

الجزء الأول - المجلد الحادى والعشرون

الموضوع	بقلم	صفحة
فاتحة السنة الحادية والعشرين ...	حضرة صاحب العزة مدير المجلة	٣
احتفال الازهر بالعام الهجرى	حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر	٥
الناموس الادبى العام ...	العزة مدير المجلة	٩
حكم الشريعة فى استبدال النقد بالهدى	الفضيلة الشيخ محمود شلتوت	١٣
أهداف الهجرة ...	فكرى ياسين	١٨
بين الشريعة والقانون ...	عبد اللطيف السبكى	٢٤
عبرة وعظة ...	الطيب النجار	٢٩
مفردات فلسفية - دين ...	الاستاذ الدكتور محمد يوسف موسى	٣٣
الركن الشرعى للجريمة ...	أحمد محمد ابراهيم	٣٧
مذهب الصرفة ...	فضيلة الاستاذ على حسن العمارى	٤١
الإمام البخارى ...	محمود النواوى	٤٥
حرية رأى ...	على أبو الحشب	٥١
من طرائف القرآن الكريم	عبد الغنى الراجحى	٥٥
الحب العفيف للزوج ...	لجنة الفتوى	٦١
المسبحة من عظم الفيل ...		٦٢
تبني المسيحى للطفل المسلم ...		٦٣
أبو تمام يصف ...	سيادة الاستاذ السيد	٦٥
فى ذكرى المولد ...	فضيلة الاستاذ الشيخ محمود جملة	٦٩
السوفسطائيون فى نظر العرب	احمد شاهين	٧٤
الحجة الخالصة ...	محمد عبد التواب	٧٨
الاسلام والمثل العليا ...	محمد عبد المنعم خفاجى	٨١
عجالات فى الشوقيات ...	الشيخ كامل محمد عجلان	٨٥
الايمان ...	حضرة الاستاذ عمر طلعت زهران	٨٩
فى قصر الرشيد ...	حسن خطاب الوكيل	٩٢
تقاريط ...		٩٥